

**بين الدين والفلسفة
لدى الكندي
(فيلسوف العرب والإسلام)**

إعداد

د / فتحي محمد الزغبى

أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية
بجامعة الشارقة

محتويات البحث

٤	المبحث الأول : الكندي (فيلسوف العرب والإسلام)
٤	المطلب الأول : فيلسوف العرب
٦	المطلب الثاني : فيلسوف الإسلام
٨	المطلب الثالث : مولد الكندي ووفاته
٩	المطلب الرابع : ثقافة الكندي وكثرة مصنفاته
١٣	المبحث الثاني : الكندي من علم الكلام إلى الفلسفة
١٤	المطلب الأول : الكندي والمعتزلة
١٥	المطلب الثاني : تعريف الفلسفة عند الكندي
١٨	المطلب الثالث : منزلة الفلسفة عند الكندي
	المطلب الرابع : دعوته لدراسة الفلسفة وحثه على طلبها
٢١	المبحث الثالث : بين الدين والفلسفة لدى الكندي
٢١	المطلب الأول : ضرورة التوفيق بين الفلسفة والدين
٢٤	المطلب الثاني : أسباب التوفيق لدى الكندي
٢٦	المطلب الثالث : أسس التوفيق بين الدين والفلسفة لديه
٢٨	المطلب الرابع : اختلاف الفلسفة عن الدين في المنهج

المبحث الأول الكندي (فيلسوف العرب والإسلام)

المطلب الأول : فيلسوف العرب :

يتفق أصحاب التراجم على أصل الكندي ، وأنه عربي صميم ، حيث يرجع نسبه إلى قبيلة "كندة". وهي قبيلة عربية مشهورة كانت بالحجاز واليمن ، فهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي ، ويذكر صاعد الأندلسي أن نسب الكندي يرتقي إلى يعرب بن قحطان من عرب الجنوب ، وبين الباحثون أن هذا النسب ينقسم قسمين : الأول في الجاهلية ، والثاني في الإسلام ، وهزمة الوصل بينهما هو الأشعث بن قيس ، الذي عاش في الجاهلية ، وقدم علي الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع وفد كندة ، وأسلم علي يديه ، فهو أول من أسلم من أباء الكندي^١

جاء في تاريخ بغداد عنه أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة ، ويعد فيمن نزل الكوفة من الصحابة ، وله عن النبي صلى الله عليه وسلم رواية ، وقد شهد مع سعد بن أبي وقاص قتال الفرس بالعراق ، وكان على راية كندة يوم صفين مع علي بن أبي طالب وحضر قتال الخوارج بالنهروان وورد المدائن ، ثم عاد إلى الكوفة فأقام بها حتى مات ، في الوقت الذي صالح فيه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان وصلى عليه الحسن ، ثم يذكر أن الأشعث بن قيس يكنى أبا محمد ، مات في آخر سنة أربعين بعد قتل علي ، ثم ينقل عن محمد بن إسحاق الثقفي السراج قال رأيت في كتاب أبي حسان الزياتي : الأشعث بن قيس كان يكنى أبا محمد مات بعد قتل علي بن أبي طالب بأربعين ليلة فما أخبر عن ولده وتوفي وهو بن ثلاث وستين^٢

و أما محمد بن الأشعث ففيل إنه ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمله ابن الزبير على الموصل ، وذكر الزبير بن بكار في تسمية أولاد علي أن مصعب بن الزبير لما غزا المختار بن أبي عبيد بعث علي مقدمته محمد بن الأشعث ، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب فقتلا ، وكان ذلك سنة سبع وستين ، ثم خرج ابنه عبد الرحمن على الحجاج ، واستولى على

(١) راجع تفاصيل الحديث عن نشأته وحياته وعصره وأهل قبيلته في كتاب الشيخ مصطفى عبد الرازق

"فيلسوف العرب والمعلم الثاني" دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ / ١٩٥٤ وفي تصدير الدكتور أبي ريدة

لرسائل الكندي الفلسفية ، حيث حققها وأخرجها مع مقدمة تحليلية لكل منها ، وتصدير واف عن الكندي

وفلسفته الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ملقزم الطبع والنشر دار الفكر العربي مطبعة الاعتماد بمصر

١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، ود/ ماجد فخري : الفكر الأخلاقي العربي ج ٢ (الفلاسفة الخلقيون) ص ١٥ الأهلية

للنشر والتوزيع بيروت ١٩٧٨ م

^٢ تاريخ بغداد ، لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي ج ١/ص ١٩٧ ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت

خراسان ، وغلب علي الكوفة ، ثم انتهى الأمر بأن القي نفسه من سطح فمات سنة خمس وثلاثين^٢

وإذا كانت صلة بني الأشعث بن قيس بالخلفاء من بني مروان قد انقطعت منذ هذا الخروج فإن بيت الكندي ظل في الكوفة من بيوتات المجد و الحسب الشامخ ، ولما تولى الخلافة العباسيون عاد بيت الكندي إلى الظهور في ميدان السياسة و الحكم فتولى إسحاق ابن الصباح (والد الكندي) في أيام المهدي سنة ١٩٣ أيام الرشيد حتي توفي في أواخر عهده ١٩٣ علي الأرجح^٣ ، وإذا كان جاء بني الأشعث بن قيس لم يزل بزوال إسحاق ، فإن عهدهم الزاهر في الكوفة قد تولى بموته ، وكانوا انتشروا في البلاد، فلم يبق للصبي اليتيم إلا أمه التي لا نعرف من شأنها قليلا ولا كثيرا، كانت الأم تريد بالضرورة لولدها أن يعيش كأبيه ميسرا وجيها، فدبرت له ماله ، ونشأته مقتصدا مرفها غنيا، ثم سافته في سبيل العلم لما آنست من ذكائه المتوقد ، وشوقه إلى التهام المعارف حتى إذا فاتته فخامة الحكم لم تفته جلاله العلم والحكمة^٤ .

والذي نريد أن نخلص إليه من هذا كله أن الكندي ينتسب إلى قبيلة عربية مشهورة، ولذلك لقب " بفيلسوف العرب" أو فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها تميزا له عن فلاسفة الإسلام من غير العرب : يقول عنه ابن النديم : " فاضل دهره" وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ويسمى بـ " فيلسوف العرب" وذكر عنه القفطي أنه " فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها" وبين أنه هو المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ، متخصص بأحكام النجوم وأحكام سائر العلوم^٥ ، ويذكر صاحب طبقات الأطباء أنه لم يكن في الإسلام من اشتهر عند الناس بمعانة علوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفا غير يعقوب هذا

ومعنى ذلك أن الكندي قد لقب بـ " فيلسوف العرب " لأنه عربي المنتسب (من قبيلة كندة) تميزا له عن أقرانه من المتوفرين على دراسة الحكمة من غير العرب ، ولذلك فاتهم بلقبونه بـ "فيلسوف العرب" أو فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها" وذلك تمييزا له عن فلاسفة الإسلام من غير العرب : حيث كان الفارابي من أصل تركي ، وابن سينا من أصل فارسي^٦ .

ويري الدكتور الإهواني أن الكندي هو (فيلسوف العرب) بحق ، لا لأنه كان مسلما ، فقد ظهر كثير من الفلاسفة كانوا مسلمين : كالفارابي المعلم الثاني ، والشيخ الرئيس ابن سينا ، والرازي الطبيب ، والبيروني ، وابن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وغيرهم وغيرهم ممن كانوا يدينون بالإسلام ، ولكن لم ينعت أحدهم بأنه (فيلسوف العرب) ، وإنما جرت علي أقدام المؤرخين أنهم الفلاسفة الإسلاميون ، وكان معظمهم من أجناس غير عربية^٧

^٢ راجع تفصيل ذلك في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٦ ص ٣٢٦ - ٣٢٨ وفيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ١١-١٢ والكندي فيلسوف العرب للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ص ٢١ - ٢٢ سلسلة أعلام العرب الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م

^٣ راجع فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ١٣ - ١٥

^٤ راجع المصدر السابق ص ١٨ - ١٩

^٥ (الفهرست ص ٣٥٧ راجع تفصيل ذلك "دي بور" تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٧٧ أخبار العلماء

للقفطي ص ٢٤ مطبعة السعادة ١٩٢٦ م ، راجع أيضا ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٣

ص ١٧٨ دار الفكر بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ .

^٧ راجع الكندي فيلسوف العرب ص ١٢

ويذكر أن الكندي باعتبار أنه فيلسوف كان مسجلا لحضارة عصره من جميع نواحيها ، بل يمكن القول بحق إنه كان فيلسوف الحضارة العربية في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، فما كان يمكن أن يظفر بلقب فيلسوف العرب لولا إحاطته بجميع العلوم والفنون والتأليف في أصولها النظرية ، ومعرفة أسبابها ، إلى جانب الصلة بين بعضها والبعض الآخر ، وكيف يستخدمها الناس ويستفيدون منها ، وكيف تلتقي في الإنسان العربي^٨

المطلب الثاني : فيلسوف الإسلام :

إذا كان بعض المترجمين للكندي قد أطلقوا عليه لقب " فيلسوف العرب " فإن البعض الآخر أثر أن يلقبه ب " فيلسوف الإسلام " ويرى الدكتور الأهواني أن هذه قضية اختلفت في شأنها عند اختيار اللقب الذي ينعنون الكندي به ، ويرجع هذا التباين - في نظره - إلى أن دائرة العروبة لا تطابق تمام المطابقة دائرة الإسلام ، فقد كان من العرب نصارى وصابئة ويهود ومجوس ، كما كان من المسلمين ترك وعجم وغير ذلك من أهل الأجناس الأخرى غير العربية ، وفي الوقت الذي ظهر الكندي فيه علي مسرح الفكر ، كان معظم المشتغلين بالعلم والفلسفة إن لم يكن جميعهم نصارى وصابئة ، وكان من الطبيعي أن يعنى بالفلسفة أولئك الذين كانوا من المشتغلين بها قبل دخولهم في الإسلام ، وكان أغلبهم من السريان والصابئة^٩.

ومن القدماء الذين أطلقوا على الكندي لقب " فيلسوف الإسلام " جمال الدين بن نباتة المصري حيث يقول " الكندي هو يعقوب بن الصباح المسمى في وقته فيلسوف الإسلام " من ولد الأشعث بن قيس ، كان أبوه ابن الصباح من ولاة الأعمال في الكوفة وغيرها في أيام المهدي والرشد ، وانتقل يعقوب إلى بغداد واشتغل بعلم الأجدب ، ثم بعلوم الفلسفة جميعها ، فافتتها وحل مشكلات كتب الأوائل ، وحذا حذو أرسطاطاليس ، وصنف الكتب الجلية الجمة ، وكثرت فوائده وتلامذته ، وكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته ، وهي كثيرة جدا^{١٠}.

وكذلك الحافظ ابن حجر ترجم للكندي بأنه (يعقوب بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي أبو يوسف فيلسوف الإسلام كان واحد عصره في معرفة العلوم القديمة وصنف في المنطق والحساب والأرتماطيقي والموسيقى والنجوم وقد سرد بن النديم في الفهرست أسماء تصانيفه فبلغت مائتين وبضعة وثلاثين تصنيفا)^{١١}

ثم جاء الإمام السيوطي وأكد علي أن يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف الإسلام في وقته ، يعني الفيلسوف الذي في الإسلام ، وإلا ليس الفلاسفة من المسلمين ، كما قالوا لبعض أعيان القضاة الذين كانوا في زمان ابن سينا : من فلاسفة الإسلام ؟ فقال : ليس للإسلام فلاسفة^{١٢}

^٨ راجع المصدر السابق ص ٣١٣ - ٣١٤

^٩ راجع المصدر السابق ص ٤٠٣

^{١٠} راجع كتابه " سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون " ص ٢٣١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم نشر دار الفكر العربي القاهرة ١٣٨٣ هجرية - ١٩٦٤ م

^{١١} لسان الميزان ج ٦/ص ٣٠٧

^{١٢} راجع صون المنطق والكلام ص ٢٨٨

وإذا كان الدكتور الأهواني قد أثر أن يطلق عليه لقب " فيلسوف العرب " بدلا من إطلاق لقب " فيلسوف الإسلام " حيث جعله عنوان كتابه في سلسلة أعلام العرب . وبعد أن أشار إلى أن علوم الطب والهندسة والهيئة والحساب والفلسفة كانت احتكارا في أيدي نصارى السريان ، وفي أيدي الصابئة ، وكذلك بعض الفرس ، انتهى بعد شرح وتفصيل إلى أن الكندي كان أول فيلسوف عربي مسلم ، انتزع هذه الصناعة من أيدي نصارى السريان الذين لم تكن لغتهم الأصلية العربية.^{١٣}

بل انه قد اختتم كتابه عن الكندي فيلسوف العرب بصفوة القول فيه فقال : " كان الكندي ، فيلسوف العرب مسجلا للحضارة الإسلامية في زمانه ، وكان كذلك راسما خطوطها العامة التي ينبغى أن تسير عليها في المستقبل . وانه هو الذي ثبت دعائم الفلسفة ، ودافع عنها ، وبين فضلها ، وأشاعها في الثقافة العربية ، واستمرت بعده عدة قرون من الزمان ، وانه هو الذي جعل الفلسفة الإسلامية اللسان الناطق بالحضارة العربية ، فلا غرابة بعد هذا كله أن يسمى - كما يقول - " فيلسوف العرب " .

ويرى الدكتور الأهواني أن الشيخ مصطفى عبد الرازق كان الواقع في مضطربا في ترجيح أي الوصفين " فيلسوف العرب " أم " فيلسوف الإسلام " لكنه يستترك بأنه كان يميل إلى القول بأنه " فيلسوف العرب " فقد بدأ العبارة بأنه " فيلسوف العرب " كما جاء عند القفطى وابن أبى أصيبعة ، ثم نقل رأى ابن نباتة من انه " فيلسوف الإسلام " وعقب على هذا كله ، وبعد ذلك ، بأنه : " كان جديرا بهذه التسمية " فأى تسمية لعمري يقصد ، العرب أم الإسلام .^{١٤}

وكذلك الدكتور محمد جلال شرف الذى يذكر أن شخصية أبى يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى قد حيرت المؤرخين قديما وحديثا بين أن يكون فيلسوف العرب أو فيلسوف الإسلام ، وبعد أن أشار إلى قول القفطى بأنه فيلسوف العرب ، وقول السيوطى بأنه " فيلسوف الإسلام " ذكر أن الأستاذ مصطفى عبد الرازق كان فى الواقع مضطربا فى ترجيح أى الوصفين حين يذكر أنه فيلسوف العرب وكذلك فيلسوف الإسلام فجمع بين القفطى والسيوطى.^{١٥}

والحقيقة أن الشيخ مصطفى عبد الرازق لم يكن مضطربا على الإطلاق كما قيل ، وإنما كان صريحا فى اختياره للتسمية التى يريدها ، فلو رجعا إلى كتابه عن الكندى وغيره من الفلاسفة والطماء ، والذي سماه (فيلسوف العرب والمعلم الثاني) نجد أنه بعد أن أشار إلى أن الكندي هو " فيلسوف العرب " كما فى كتاب أخبار الحكماء وكتاب " طبقات الأطباء " ، ونقل كلام ابن النديم فى الفهرست " وسمى فيلسوف العرب " نقل كلام ابن نباتة عن الكندي بأنه المسمى فى وقته فيلسوف الإسلام . وعقب على هذا بقوله " والكندي كان جديرا بهذه التسمية فى وقته ، وسيظل بها جديرا ويقصد بهذه التسمية ابن نباتة بأنه " فيلسوف الإسلام " بدليل انه قال " فى وقته مثلما قال ابن نباتة - وسيظل بها جديرا .

وقد علل ذلك بأنه أول عربى مسلم مهد للفلسفة سبيل الانتشار بين العرب وفى ظل الإسلام ، فقد كان أمر الترجمة من قبله لنقله ، حرصهم على الترجمة الحرفية مع ضعف بياتهم العربى يجعل تراجمهم رموزا يستعصى حلها ، حتى جاء الكندي يترجم بنفسه ، ويصلح هذه التراجم ليسهل تناولها ، ولكيلا تنفر من أساليبهم أنواق العرب ، ثم درس الكندي هذه الكتب المترجمة ، ويسر من موضوعاتها ما كان معصرا ، واختار ما صح من آرائها فى نظره ، فبسطه إن كان

^{١٣} راجع الكندي فيلسوف العرب ص ٤ - ٩

^{١٤} راجع المصدر السابق ص ٣١٨ - ٣١٩ ، ص ١٠

^{١٥} راجع كتابه: الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامى ص ٢٢ دار المعارف بمصر الإسكندرية

محتاجا لبسط ،ولخصه إن كان محتاجا لتلخيص، وجاهد في تزيين الفلسفة في أعين العرب جهادا مكللا بالنصر ، بذل فيه كل ما يستطيع إنسان أن يبذله من نعيم الحياة وجاهاها ، وصبر في سبيل ذلك على ما لقيه من أذى.

وبين الشيخ مصطفى كذلك أن الكندي هو الذي وجه الفلسفة الإسلامية في وجهتها فسارت في سبيلها على أيدي تلاميذه ومن أخذ عن تلاميذه ، وفسر ذلك بأنه هو الذي وجه الفلسفة الإسلامية وجهة الجمع بين أفلاطون وأرسطو، وهو الذي وجهها في سبيل التوفيق بين الفلسفة والدين . وانتهى إلى أن الكندي هو بلا ريب أول مسلم عربي اشتغل بالفلسفة التي كانت إلى عصره وقفا على غير المسلم العربي . وكأنه يشير إلى ما ذكره " صاعد" في كتابه "طبقات الأمم" حيث قال عن الكندي " ولم يكن في الإسلام من اشتهر عند الناس بعلوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفا غير يعقوب هذا " ، وبين أن الكندي نبغ في علوم الحكمة ، وصار كما يقول الأستاذ (ما سينيون) إمام أول مذهب فلسفي إسلامي في بغداد ، وله أبحاث طريفة ، ثم إليه يرجع الفضل بعد ذلك في تحرير جملة من التراجم العربية لمصنفات يونانية في الفلسفة^{١٦}

ومعنى ذلك أن الكندي يحتل عند الباحثين في الفلسفة الإسلامية مكانة متميزة بين أتباعه من الفلاسفة المسلمين ، ويتبوأ منزلة خاصة في تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، لأنه يعتبر أول من وقف على الفلسفة اليونانية، وأفاد منها وحاول أن يلبسها ثوبا إسلاميا خالصا ، لذلك فباتهم يعدونه أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة ، ويرون أنه كان متمسكا بعقائد الإسلام الأساسية غيورا عليها ، مدافعا عنها ، بالنظر العقلي الفلسفي دفاع المقتنع ، كما كان عاملا بالشرع . حيث يحكى أنه كان مريضا بمرض يعالجه بالشراب ولم تغده أنواع العلاج الأخرى فاحتمل آلامه حتى مات من العلة ، فهو منسجم مع الإسلام ، سائر في تياره ، أو هو بتعبير آخر انتهى بالأدلة العقلية إلى ما انتهى به الوحي الإلهي على لسان سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم .^{١٧}

المطلب الثالث : مولد الكندي ووفاته :

مولده :

وإذا كان الغموض قد أحاط بالسنة التي توفي فيها إسحاق ابن الصباح والد الكندي ، كما سبق أن أشرت ، فإن السنة التي ولد فيها ابنه يعقوب اشد غموضا و لذلك كان تحديد مولده اقرب إلى الظن والتخمين :

يذكر دي بور أن فيلسوفنا (الكندي) قد ولد في أوائل القرن التاسع الميلادي (أواخر القرن الثاني من الهجرة) على الأرجح في الكوفة وكان أبوه أميرا عليها

وأكد على ذلك الشيخ مصطفى عبد الرازق فذكر أن تاريخ ميلاد الكندي غير معروف إلا ظلنا ، وذكر أن ميلاده على الأرجح كان في أواخر حياة أبيه الذي توفي في زمن الرشيد، والرشيد توفي سنة (١٩٣هـ) ٨٠٨م ، فالغالب أن الكندي ولد في مطلع القرن التاسع الميلادي حوالي ٨٠١م (١٨٥هـ) كما رجحه " دي بور" في دائرة المعارف الإسلامية.

^{١٦} راجع فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٤٠ - ٤٩

^{١٧} (راجع تصدير أبي ريدة للرسائل ج ١ ص ١٦ والتفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور عبد الحليم محمود ص ٣٢٥ دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٤ ، راجع الكندي فيلسوف العرب للدكتور الأهواني ص ٣ - ١٥ سلسلة أعلام العرب .

ويضيف قائلا : " ولما كان يعقوب بن إسحاق الكندي قد توفي في أواسط القرن الثالث الهجري (٢٥٢هـ) كما روجه في موضع آخر) ولم يكن أحد ممن ترجموا له أشار إلى أنه كان من المعمرين، فمن المرجح أنه ولد في عواقب عمر أبيه ، وأن أباه تركه طفلا ، فنشأ في الكوفة في أعقاب تراث من السودد ومن الفنى ، وفي حضن اليتيم وظل الجاه الزائل ، "

وعلى هذا فلا سبيل لمعرفة ظروف حياة الكندي ونشأته وتعليمه - كما يقول الدكتور أبو ريدة - إلا استنباطا وقياسا ، كما فعل أستاذنا رحمه الله .^{١٨}

وفاته :

وقد اختلف في وفاته كما اختلف في مولده ، ويرجح الشيخ مصطفى عبد الرازق أنه توفي في أواخر سنة ٢٥٢ هـ.

يذكر الدكتور أبو ريدة أن تحديد تاريخ وفاة الكندي ليس أسهل من تحديد تاريخ مولده ، على أنه يؤخذ من كلام الطبري في تاريخه أن فيلسوفنا كان لا يزال حيا في عام ٢٤٨ هـ فيذكر أن محمد بن موسى المنجم أراد أن يتحاشى الخلافة إلى أحمد بن المعتصم لأنه كان صديق الكندي ويذكر الكندي في رسالته في مدة ملك العرب الفتنة التي قتل فيها الخليفة المستعين عام ٢٥٢ هـ وهو يذكرها ضمن الفتن التي تدل عليها الأدوار فلا بد أن تكون وقعت في حياته،

أما أستاذنا المرحوم فهو يلاحظ أن الجاحظ يذكر الكندي في كتاب البخلاء مستعملا صيغة الماضي ، مما يدل على أن الكندي عند تأليف الجاحظ كتابه كان ميتا ، ولما كان كتاب البخلاء، كما يقول الأستاذ ، قد ألف في سنة ٢٥٤ هـ ، على الراجح ، فإن وفاة الكندي كانت قبل ذلك .، ثم يستنتج الأستاذ من ذكر الجاحظ لفيلسوفنا في كتاب الحيوان مع استعمال صيغة الماضي أيضا أن فيلسوفنا عند تأليف الجاحظ هذا الكتاب كان قد توفي ، فإذا صح أن هذا الكتاب ألف عام ٢٣٥ هـ ، فالكندي قد توفي قبل ذلك ، ولذلك يرجح الأستاذ رحمه الله أن فيلسوف العرب توفي في أواخر سنة ٢٥٢ هـ.

بينما يرجح الدكتور عبد الرحمن بدوي ما ذهب إليه "نلليينو" وأيده "بروكلمان" من أنه توفي عام ٢٦٠ هـ ٨٧٣ .^{١٩}

المطلب الرابع : ثقافة الكندي وكثرة مصنفااته :

ثقافته :

^{١٨} راجع فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ١٨ والكندي فيلسوف العرب ص ٢٥ وتصدير رسائل الكندي الفلسفية ص ٤ - ٥

^{١٩} (راجع تفاصيل ذلك : فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٥٠ - ٥١ وتصدير الدكتور أبي ريدة ص ٤ - ٦)

ويرجح أن مولده عام ١٨٥ هـ وموسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٢٩٧ .

كان طبيعياً إذا - كما سبق أن أشرت - أن تدفع أم الكندي طفلها إلى العلوم الدينية وآلاتها، فتعلم علوم اللغة والأدب وشدا من علوم الدين شيئا، ولكن الطفل كان بفطرته طليعة ، يلتبس أن يدرك بعقله الأشياء وعقلها ، ويريد أن يحيط بكل شيء علما، فما هو إلا أن بلغ رشده ، وأصبح أمره بيده ، حتى انطلق يرضى شهوة عقله فيتصل بعلم الكلام ، ويشارك المتكلمين في مباحثهم ويغلبه حب المعرفة ، فلا يجد فيما تمارسه بينته الإسلامية العربية ما يكفى حاجة عقله الطموح ويقترح غمار الفلسفة وما إليها من العلوم المنقولة عن اليونان وفارس والهند ولا يجد فيما يترجمه النقلة غنى ، فيحاول أن يرد هذه العلوم في منابعها ، ويتعلم اليونانية، ويترجم بها ويصلح ما يترجمه غيره، ويتصل بالثقافة اليونانية اتصالا ظاهر الأثر في عواطفه وفي تفكيره (٢٠) .

ويذكر الدكتور أبوريدة أننا لا نعرف شيئا عن تحصيل الكندي ولا عن أساتذته ، ولا نجد عند بعض المترجمين سوى أنه نشأ في البصرة وأن " تالديه " كان في بغداد ، غير أننا نستطيع أن نستنبط مما كان له من مجد قديم مستمر ومما كان لأبيه من منصب وثروة وكرم مذكور أنه قد أتاحت له فرصة تعليم وتنقيف منظمين ، كما هو شأن أبناء الولاة ، هذا إلى جانب ما لا نشك أنه قد استفاده من الجو العلمي الذي يسود بيوت الكبراء ، والذي ينشأ من تردد العلماء والمفكرين وأهل النظر على مجالس الولاة الذين لم يكونوا قط - بحسب ظروف الدولة الإسلامية الأولى - مجرد موظفين إداريين ، بل كانت تربطهم بالعلم وأهله الروابط الوثيقة .

هذا إلى أننا لا يمكن أن ننسى ما كان في البصرة - حيث نشأ الكندي - من حياة فكرية قوية سواء في ناحية الأدب واللغة وما يتصل بمشكلاتهما من علوم ودراسات ، أو في ناحية البحث العقلي الذي كانت مادته المناظرات الكلامية في مسائل دينية وفلسفية متنوعة على يد كبار المعتزلة البصريين. وتتجلى في هذه الرسائل الفلسفية - التي قدم لها - آثار هذا كله : فلها ناحية لغوية ظاهرة يستطيع علماء اللغة أن يتناولوها ، كما أن لها ناحية كلامية اعتقادية، وفيها بعد ذلك آثار للمناظرات الكلامية، وهي تشتمل بوجه عام على جملة النظريات التي لا بد أن يؤديها المتكلم إزاء الفلسفة ، كما أنها تعبر عن موقف المتفلسف المسلم وسط المذاهب الفلسفية ، بحيث يمكن أن يؤخذ منها عقيدة دينية ذات أصول متعددة.

وإذا كان الكندي قد تأدب ببغداد وأقام بها في أثناء ازدهار ملكاته وتفتحها ، وكان قد أظله الخلفاء المستنبرون منذ عصر المأمون إلى بداية عصر المتوكل ، حيث بلغت حركة ترجمة الفكر الأجنبي خصوصا علوم اليونان الفلسفية ذروتها بفضل تشجيع هؤلاء الخلفاء ، استطعنا أن نترك قوة الجو الفكري الذي فيه نبغ ، وفيه تفتحت مواهبه وتكامل نضجها ، ولاشك أن انتقاله إلى بغداد كان بعد أن قطع مرحلة الشباب الأول وبدأ مرحلة التنقيف الذاتي ، وبعد أن ظهرت بوادر فضله إلى حد أعظم منزلته عند المأمون.

ولا شك في أن بداية حياة الكندي مع ترعرع علم الكلام الناشئ وازدهاره وسط حركة فكرية قوية وغنية بالعلم وضعت أمهات الفكر الفلسفي تحت نظر المسلمين قد أتاح للكندي تحصيل معارف واسعة ، فيها كثير من العناصر الممتازة . وكان عقله يتغذى من قراءة الكتب المنقولة على اختلافها ومن الصلة المباشرة بكبار المترجمين الأولين ومن المشاركة في المناظرات والأبحاث الكلامية والفلسفية المتنوعة التي لم تكن تخلو منها مجالس الخلفاء ، وتدل مؤلفات

* راجع فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٢١

الكندي على تبحر في أنواع العلوم وعلى شمول لكل ما كان يعنى مفكرى عصره من علوم كلامية أو فلسفية بالمعنى الواسع.

وإذن فإن إقبال هذا العربي الصميم على دراسة العلوم الفلسفية التي كان نقلها للمسلمين والعناية بها شأن غير العرب وغير المسلمين في الغالب ، هذا إلى جانب تميزه ونبوغه واستقلاله في الرأي - وهذا يتجلى في نقده لأراء الفلاسفة وإنشائه وجهة نظر شخصية - كان مثالا مشجعا للعرب المسلمين في ذلك العصر الذي فيه لم تكن الفلسفة قد اتخذت لنفسها وطنا بينهم ، ولم يكونوا فيه هم أيضا قد ملكوا ناصية وضع المشكلات وتوجيهها ، ولا أحكموا أداة معالجتها من حيث تحرير المفهومات والاصطلاحات الدالة عليها، فضلا عن حداثة عهدهم بالفلسفة بالإجمال وضرورة بذل الجهد الكبير في فهم نظرياتها . وإذا كان العرب في ذلك الوقت لم يكونوا موضع ثقة كبيرة في العلوم العملية التطبيقية التي هي أسهل تعلمًا وأقرب إلى الفهم الطبيعي ، كما يحكيه الجاحظ فيما يتعلق بعلم الطب ، فلا شك أن تكون الفلسفة النظرية المجردة بما فيها من مفهومات غامضة واصطلاحات غريبة وجديدة أعسر عليهم . والذي يقرأ رسائل الكندي يجد مقدار مالا يد أنه قد بذله من جهد ولقيه من عناء في التغلب على العقبات التي تحول دون دراسة الفلسفة وفهمها في العادة والتي تحول بعد دراستها وفهمها دون عرضها للناس . ولا شك أن الكندي كان من هذا الوجه ممهدا ومؤسسا انتفع بمجهوده من جاء بعده في الشرق وفي الغرب أيضا ،

وأخيرا فإن صح ما يقوله ابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ٢٠٧) من أن فيلسوفنا كان من حذاق المترجمين أو ما يذكره القفطي (ص ٦٩ - ٧٠) من أنه نقل إلى العربية كتاب جغرافية المعمور من الأرض لبطليموس - كان موجودا بالسريانية - فإتنا نستطيع أن نتبين في ثقافة الكندي عنصرا جديدا هو معرفته باللغات الأجنبية . ولكن يظهر أن المقصود بالترجمة فيما يتعلق بالكندي هو معناها الواسع ، أعنى عرض الآراء الفلسفية الأجنبية باللغة العربية ذلك أنه لا يذكر أن الكندي نقل من الكتب ما يبرر أن نعتبره من ضمن المترجمين ، وإذا كنا نجد أن الكندي في بعض رسائله - خصوصا رسالة الحدود ورسالة في كمية كتب أرسطو - يذكر معاني لبعض الأسماء اليونانية المعربة أو ما يدل على معرفته ببعض المقابلات اليونانية لكلمات عربية فإن هذا ليس له كبير دلالة على معرفته باليونانية . ولو نظرنا فيما عندنا من رسائله للاحظنا بمنتهى السهولة أن ثقافته ، من حيث مادتها ، عربية - إسلامية - يونانية^{١١} غزارة مؤلفاته وكثرة مصنفاته :

يذكر الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة أن فيلسوف العرب كان له في التصنيف مجهود خصيب رائع ، يفوق كثيرا ما يتوقعه الإنسان من مفكر عربي في ميدان الفلسفة أيام كانت كل العلوم العقلية ، وحتى الشرعية ما زالت عند المسلمين في دور التكوين ، حيث لم يترك الكندي ناحية من نواحي الأبحاث الفلسفية ، كما كانت الفلسفة تفهم في ذلك العهد ، إلا ألف فيها ، مما دعا العلماء من أول الأمر إلى تقسيم كتبه ، بحسب موضوعاتها .

ويدل عدد ما نسبته المترجمون له من الكتب في الموضوعات المختلفة علي سعة معارفه ، وكثرة إطلاعه ، حيث نجد عند ابن النديم - وهو فيما عرف - صاحب أول إحصاء معروف لنا لمؤلفات الكندي وأنواع الميادين التي ألفها فيها - في بيان شأن فيلسوفنا في العلم والمعرفة ، قوله - كما سبق - إنه " فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ، . ويقول صاعد إن فيلسوفنا ممن اشتهر بين خواص المسلمين " بإحكام العلوم والتوسع في

^{١١} راجع تفصيل ذلك في تصدير الدكتور أبي ريدة ص ٧ - ٩

فنون الحكمة" ، أما البيهقي فهو يقول إن الكندي كان " مهندساً خانضاً غمرات العلم " وانه " جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات ، ويقول القفطي عنه إنه " المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ، متخصص بأحكام النجوم وأحكام سائر العلوم ، فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ، ويقول ابن نباتة في سرح العيون: " وكانت دوله المعتمصم تتجمل به وبمصنفاته وهي كثيرة جداً "

وإذا كان جميع أصحاب التراجم يبرزون فضل الكندي مع المقارنة بالعرب ويسمونهم " فيلسوف العرب ، فيظهر أن صاعد يريد المقارنة في مجال أوسع وذلك بقوله : " ولم يكن في الإسلام من اشتهر عند الناس بعلوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفاً غير يعقوب وله في أكثر العلوم تأليف مشهورة " ، ويرى الدكتور أبو ريدة أن الكندي في الحقيقة أقرب لفلسفة الإسلام إلى الاستقلال في التفكير ، وهو أقرب في الوقت نفسه إلى المنابع الأصلية للفكر اليوناني ، هذا إلى تمسكه بأصول فلسفية تطابق أصول الديانات الصحيحة جميعاً ، مثل تعالى الذات الإلهية عن كل ضروب التشبيه ، وحدث العالم وتناهيه هو وكل ما يتعلق به ، والقول بالنبوة وعلومها المميزة لها ، وبالبعث على معناه العادي بقدرة الله المطلقة الخ .

والحقيقة أن استعراض أسماء كتبه يدل على شمول لميادين المعرفة منقطع النظير وعلى أنواع من الاهتمام بكل الاتجاهات والتيارات الفكرية في عصره لا تنهيا إلا للعقول الكبيرة . وتدل الرسائل التي بين أيدينا - رغم ما قد يلاحظه فيها المفكر الحديث من نقص أو اضطراب في السياق - على جهد كبير في محاولة الفهم ووضع الاصطلاح وإجادة العرض ، هذا إلى روح عالية في محبة الحقيقة والحذب على طالبها ، والتفاني في إسعافه بما يرضى حاجته كما يتجلى ذلك في أول رسائله وأخرها دائماً ، ويبدو أن الكندي قد اتخذ من التأديب أو التدريس لتلميذه أحمد بن المعتصم فرصة لتأليف الكتب في شتى الموضوعات الفلسفية ، حتى ذكر ابن النديم أن فهرست كتبه يشتمل على (٢٣٨) مائتين وثمانية وثلاثين تصنيفاً موزعة على سبعة عشر نوعاً ، غير أن كثيراً من هذه المؤلفات قد ضاعت ولم يبق منها إلا بضعة وخمسون ، وقيل إن للكندي خمسين رسالة فقط .

والقاء نظرة على هذه الرسائل أو الكتب تطلعننا على أنه كتب في الكلام والفلسفة أو الميتافيزيقا والأخلاق والسياسة والمنطق والرياضة والطب والفلك والموسيقى ، وباختصار فإن مصنفات الكندي قد تنوعت ، وتعددت فنونها ، وهذا يدلنا بلا شك على تبحره في أنواع العلوم ، وأن ثقافته كانت من حيث مادتها: عربية إسلامية يونانية ، ولا نكون بعيدين عن الصواب كما يقول الدكتور أبو ريدة - إن قررنا أن رسائل الكندي أسهل فهماً من كتب فلاسفة اليونان قبله ومن فلاسفة الإسلام بعده . والحق أنه بعلمه المتنوع الشامل وبمؤلفاته التي يدهش الإنسان لكثرتها يمثل طرفة في تاريخ العلم عند المسلمين^{٢٢}

وإذا ما أردنا أن نختم هذا البحث الذي خصصناه لحياة الكندي (فيلسوف العرب والإسلام) العامة والخاصة ، وذلك بالإشارة إلى شخصيته الإنسانية ، فإنه لا حاجة بنا إلى تكرار حسبه ونسبه ، ويكفي أن نقول هنا إنه بشرفه في ميدان العلم والفلسفة أيضاً قد بلغ من المجد ما يتضاعف أمامه حسب الملوك من أجداده ، وتدل ندرة الأخبار المتعلقة بظروف حياته على أنه

^{٢٢} (راجع تفصيل ذلك في الفهرست لابن النديم ص ٣٥٧ - ٣٦٥ مقدمة الدكتور محمد عبد الهادي لرسائل الكندي ج ١ ص ٥ - ط الطبعة الثانية ، وتصديره في الطبعة الأولى من ص ٩ - ١٤ . وفيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٤٠ - ٤١) والكندي فيلسوف العرب ص ٧٢ - ٩٧ وتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور محمد علي أبو ريان ص ٢٢٠ دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان

كان ارستقراطيا في حياته وفي مجالسه وفي تفكيره ، لا يغمس في العلاقات التي من شأن بعضها أن تروى أحداثه . ويظهر فيما عدا صلته بالخلفاء أو بالقليلين من أقرانه المشتغلين بالفلسفة كان مؤثرا للعزلة العلمية والفلسفية ، يستعص فيها عن صخب الحياة وعن مجدها البراق بمجد الفكر ولذته ، ولا نسمع أن له أسرة استرعت أنظار المؤرخين ، ولا نجد ذكرا إلا لولد له يسمى محمدا كان حريصا على أن يوصيه بشيء من حكمة الحياة يدور كله حول الحرص على المال ،

وفي رسائله - خصوصا في أولها وأخرها - ما يدل على روح كريم تفيض حنوا على المتعلم وحرصا رقيقا على روحه ومصيرها ، وتدل رسالته " الحيلة لدفع الأحران " على تجربة عميقة وعلى حرص على السيرة الفلسفية الحقيقية ، بما تقوم عليه من تمسك بخبرات العقل الدائمة التي لا تمتد إليها يد التغير والزوال ولا يغلب صاحبها عليها غالب ، وذلك في مقابل مقتنيات الحياة الزائلة التي تغدو وتروح بحسب تصرف قوانين الحياة ، ولا تخلو روح الرسالة والأمثلة التي فيها ورواية أخبار الحكماء ونوع الأدلة التي يذكرها المؤلف من رغبة في إقناع الغير بفضل قوة الاقتناع الشخصي الأصل ، فلا شك في أن الكندي كان في روحه وأسلوب حياته فيلسوفا من الطراز الحقيقي .^{٢٣}

ومن كلماته الدالة على حكمته وشخصيته وروحه : اعتزل الشرفان الشر للشرير خلق . من لم ينسبط لحديثك فارفع عنه منونة الاستماع منك . اعص الهوى وأطع من شئت . لا تغتر بمال وإن كثر . لا تطلب الحاجة إلى كذب ، فإنه يبعتها وهي قريبة ، ولا إلى جاهل ، فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته . لا تنجو مما تكره حتى تمتنع عن كثير مما تحب وتريد . العاقل يظن أن فوق علمه علما ، فهو أبدا يتواضع لتلك الزيادة ، والجاهل يظن أنه قد تناهى ، فتمتقته النفوس لذلك . ليتق الله تعالى المتطليب ولا يخاطر ، فليس عن الأنفس عوض وكما يجب أن يقال أنه كان سبب عافية العليل وبرنه فليحذر أن يقال أنه كان سبب تلفه وموته من لم يكن حكيما لم يزل سقيما .^{٢٤}

المبحث الثاني

الكندي من علم الكلام إلى الفلسفة

^{٢٣} ولمزيد من التفاصيل حول هذه الرسالة راجع بحثنا (مدي تأثر مسكويه بالكندي والرازي في فلسفته الأخلاقية) : بحث محكم منشور بركة الآداب جامعة المنوفية العدد السادس يونية ٢٠٠٢ - مركز الخدمة للاستشارات البحثية

^{٢٤} انظر البيهقي ص ٢٥ - ٢٧ من طبعة لاهور . ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٠٩ نزهة الأرواح الشهزوري ص ٦ وتصدير الدكتور أبي ريدة للرسائل ص ١٠ - ١٨

المطلب الأول : الكندي والمعتزلة :

يمثل الكندي - في نظر كثير من الباحثين - مرحلة الانتقال من علم الكلام إلى الفلسفة ، ذلك لأنه قد تلقى ثقافته الكلامية على يد شيوخ المعتزلة ، وأعجب بمذهبهم في مستهل حياته ، حتى قال "دي بور" إن آراءه في المسائل الكلامية نزع فيها نزعة المعتزلة.^{١٠}

ولعل السبب في ذلك راجع إلى بلانهم في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد آراء الملاحدة والزنداقية ، كما أن طموحهم العقلي من جهة أخرى قد أغراه بحبهم . وقد يكون إثثار السلطة لهذا المذهب على غيره من المذاهب من أهم الأسباب التي حملته على معرفته : يذكر الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة أن الكندي كان له مقام كبير عند الخلفاء الذين أبدوا مذهب المعتزلة ، ولكن لا نستطيع من أجل هذا وحده أن نقطع بأنه كان معتزلي المذهب ، لأن سمو مكانته ربما كان يرجع أيضا إلى شرف نسبه وفضله في العلم والحكمة ، إلا أن بعض المؤرخين قد ذكر له مؤلفات في علم الكلام ذات طابع اعتزالي ، حيث بحث في هذه المؤلفات في مسائل تعد من أصول مذهب المعتزلة ، منها كتاب في "التوحيد" بتفسيرات ، ورسالة في "افتراق الملل في التوحيد" وأنهم مجمعون على التوحيد وكل قد خالف صاحبه^{١١} ، ويذكر صاعد أن من كتبه "كتاب التوحيد" المعروف بقم الذهب(?) ، ذهب فيه إلى مذهب أفلاطون من القول بحدوث العالم في غير زمان^{١٢} ، وله بعد هذا كتاب في "أن أفعال الباري جل اسمه كلها عدل لا جور فيها" ،

ونحن نعلم أن العدل والتوحيد هما الأصلان الكبيران عند المعتزلة . وإذا كان المعتزلة قد نهضوا للرد على جميع المخالفين للإسلام فإن الكندي قد شاركهم في ذلك ، وله كتب في الرد على المنائية والثبوتية والمحدثين والنصارى ، وفي الرد على مذاهب بعض المتكلمين ، هذا إلى تأليفه في الجزء الذي لا يتجرا ، وفي الاستطاعة وزمان كونها ، وفي مسألة حالة الجسم في أول إبداعه : هل هو ساكن أو متحرك ، وخصوصا في إثبات النبوة للرسول بوجه عام - وكل هذه مسائل مما كان يعالجه المتكلمون في عصره لاسيما المعتزلة ، فلا بد أنه كان عنده من أنواع الاهتمام ومن الغايات فالتكاليف ما كان عندهم .

ومن خلال قول الكندي بحدوث العالم ، ومخالفته بذلك قول أرسطو يقدم العالم ، يتبين لنا أنه قد اتخذ موقفا في مشكلة قد عالجها معاصروه من المعتزلة ، وذهب فيها مذهب بعض المعتزلة . وما كان ليدعوه - وهو الفيلسوف الذي يعرف أرسطو ومذهبه حق المعرفة - إلى هذا الرأي إلا تمسكه بما تمسك به مفكرو عصره من آراء نظرية وأصول عقلية ، هي أساس للعقيدة الإسلامية ، وللعقائد التي جاءت بها الأديان الموحى بها ، كذلك فإنه لا تخلو رسائل الكندي من أفكار أخرى تشبه ما عند المعتزلة بحسب طريقتهم في التعبير ، مثل فكرة الأصلح ، غير أن الكندي يطبقها على نظام الكون في جملته وتفصيله ، ولو تأملنا بعد هذا كله ، نزعة الكندي العقلية الفلسفية في فهمه لآيات القرآن الكريم واجتهاده في تفسيرها على "مقاييس عقلية" كما يقول ، ثم رأينا نزعة المتطرفة إلى التنزيه المطلق فيما يتعلق بالذات الإلهية - كما تتجلى في كتابه "في الفلسفة الأولى" وإلى التفكير العلمي الإيجابي - كما يتجلى ذلك في رسالته "في الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد" مثلا ، لوجدنا أن تفكيره يتحرك في

^{١٠} (راجع تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٨٠ - ١٨١ .

التيار المعتزلي الكبير في عصره ، دون أن يفقد هذا التفكير طابعه الفلسفي القوي وشخصيته المميزة وروحه الخاصة ، بل إن بعض المفكرين يرى أنه قد أصابه شيء مما أصابهم في عهد "المتوكل " عند إعادته لمذهب أهل السنة وانتصاره له ضد مذهب المعتزلة.^{٢٦}

معنى ذلك أن الكندي - كما سبق أن أشرت - يمثل مرحلة أو دور الانتقال من الكلام إلى الفلسفة ، ولا يعني ذلك أنه لا يعد ضمن الفلاسفة ، وإنما هو أول فيلسوف عربي وإسلامي ، لكنه بدأ متكلماً متأثراً بالمعتزلة أو على الأقل متعاطفاً معهم ومتجاوباً مع مذهبهم ، ثم انتهى به الأمر إلى الفلسفة ، حتى قال الدكتور أبو ريدة إنه يمثل دور الانتقال من الكلام إلى الفلسفة الخالصة كما نراها عند الفارابي .^{٢٧} ، كذلك فإن الدكتور "محمد علي أبو ريان " يرى أن الكندي يمثل الحلقة الوسطى بين علم الكلام والفلسفة ، إذ أنه كان معتزلياً يدين بمذهب التلويل ، وإعلاء سلطة العقل ، وله مواقف كلامية معروفة فيما يختص بصفات الله وأفعاله ، بالإضافة إلى أنه يعد الرائد الأول في ميدان الفلسفة الإسلامية حيث مهد الطريق لدراسة الفلسفة عند المسلمين.

٢٨

المطلب الثاني : تعريف الفلسفة ومنزلتها عند الكندي :

تعريف الفلسفة :

قام الكندي بذكر عدة تعريفات مختلفة للفلسفة في رسالته "في حدود الأشياء ورسومها " حيث أورد معظم تعريفات الفلسفة الماثورة عن فلاسفة اليونان وهي كلها - كما سنلاحظ - تعريفات مشهورة ماثورة عن هؤلاء الفلاسفة أمثال فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو .

وسنلاحظ أن بعض هذه التعريفات ينظر إلى الفلسفة من جهة ثمرتها في تهذيب الأخلاق وبعضها الآخر من جهة تأمل النفس والغوص في أغوارها لكشف أسرارها لأنها أقرب إلى الإنسان ، وأولى بالعلم من الأشياء الطبيعية ، وبعضها الثالث يطلب الحقيقة بالذات لا الحقائق الظاهرة .

يقول الكندي "الفلسفة - حدها القدماء بعدة حروف :

(١) إما من اشتقاق اسمها ، وهو حب الحكمة ، لأن "فيلسوف " هو مركب من "فلا " وهي محب ومن "سوف" وهي الحكمة .

^{٢٦} (راجع تصدير الدكتور "أبي ريدة " ٢٧ - ٣١ وفي "الفلسفة الإسلامية للدكتور محمد نصار ص ٥٨ .

^{٢٧} (راجع تطبيقه على كتاب "دي بور" تاريخ الفلسفة في الإسلام هامش ص ١٨٠ .

^{٢٨} (راجع تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ٣١٧ .

٢) وحدوها أيضا من جهة فعلها ، فقالوا ، إن الفلسفة هي التشبيه بأفعال الله تعالى ، بقدر طاقة الإنسان - أرادوا أن يكون الإنسان كامل الفضيلة .

٣) وحدوها أيضا من جهة فعلها ، فقالوا : العناية بالموت . (والموت عندهم موتان : طبيعي وهو ترك النفس استعمال البدن والثاني : إماتة الشهوات - فهذا هو الموت الذي قصدوا إليه ، لأن إماتة الشهوات هي السبيل إلى الفضيلة . ولذلك قال كثير من أجلة القدماء : اللذة شر ، فياضطرار أنه إذا كان للنفس استعمالان أحدهما حسي ، والآخر عقلي ، كان مما سمى الناس لذة ما يعرض في الإحساس لأن التشاغل بالذات الحسية ترك لاستعمال العقل .

٤) وحدوها أيضا من جهة العلة ، فقالوا : صناعة الصناعات وحكمة الحكم .

٥) وحدوها أيضا فقالوا : الفلسفة معرفة الإنسان نفسه ، وهذا قول شريف النهاية ، بعيد الغور ، مثلا أقول : إن الأشياء إذا كانت أجساما ولا أجسام ، وما لا أجسام إما جواهر وإما أعراض ، وكان الإنسان هو الجسم والنفس والأعراض ، وكانت النفس جوهر لا جسما ، فبأنه إذا عرف ذاته عرف الجسم بأعراضه ، والعرض الأول والجوهر الذي هو لا جسم ، فبأن إذا علم ذلك جميعا فقد علم الكل ، ولهذه العلم سمى الحكماء الإنسان العالم الأصغر .

٦) فأما ما يحد به عين الفلسفة فهو أن الفلسفة علم الأشياء الزبديّة الكلية ، إنياتها ومانيها وعللها بقدر طاقة الإنسان .^{٢٤}

وبذلك يكون الكندي قد ذكر ستة تعريفات مختلفة حيث جاء التعريف الأول من جهة الاشتقاق ، ويعرف بالتعريف الاشتقاقي ، وجاء التعريفان الثاني والثالث من جهة السلوك الإنساني حيث يتضمن كل منهما عمل الفيلسوف وغايته ، من حيث التشبيه بأفعال الله بقدر الطاقة الإنسانية وفي هذا تمام الفضيلة ، ومن حيث العناية بالموت بمعنى إماتة الشهوات ، وكطريق إلى الفضيلة العلمية والخلقية .

ثم كان التعريف الرابع الذي يبين حقيقة الفلسفة أو شمولها أو علاقتها بالعلوم والفنون ومرتبعتها بالنسبة لها ، حيث ذكر أن الفلسفة " صناعة الصناعات وحكمة الحكم " ثم كان التعريف الخامس الذي يبرز العنصر الإنساني في الفلسفة وهو أنها " معرفة الإنسان نفسه " . وأخيرا كان التعريف السادس الذي يدل على الموضوع الحقيقي للفلسفة .

^{٢٤} (راجع رسائل الكندي الفلسفية ج ١ رسالة الحدود ص ١٧٢ - ١٧٣ راجع أيضا الكندي فيلسوف العرب

للدكتور الأهواني ص ٢٧٤ .

ومن الملاحظ أن الكندي لم يأت بتعريف للفلسفة من عند نفسه ، ويرى الإمام الدكتور عبد الحليم محمود أنه كان بذلك متواضعا ، لأنه ذكر المعاني المتداولة التي أوردها القدماء ، ولا ينسب " الكندي " كل معنى من هذه المعاني إلى قائله ، وربما كان هدفه من ذكر هذه التعريفات ، جميعها ، دون الاختصار على واحد منها ، أن يشير إلى أن كلا منها لو أخذ منفردا ، كان قاصرا ، وأنه باجتماعها يتبين المعنى فى دقة ، ومن أجل ذلك أضاف إلى كل معنى من المعاني الجانب الذى يشير إليه المعنى ، ذلك أن بعضها كما رأينا يشير إلى الاشتقاق ، وبعضها يشير إلى السلوك ، وبعضها يشير إلى العلة ، وهكذا .

ومهما يكن من شئ فإنها ، باجتماعها ، تعنى بالمعرفة النظرية والسلوك العملي ، وهى على كل حال ، بحث عقلى وسلوك ارتياضى ، وإن كان الكندي قد سلك السبيل العقلى ، ولم يسلك السبيل الارتياضى ، رغم أنه كان يقره ويعترف به ، على أن التعريف الجارى الذى يذكره الكندي فى مواضع مختلفة من رسائله التى بين أيدي الباحثين ، دون إشارة إلى القدماء والذى يظهر أنه يعبر عن تصور فيلسوف العرب للفلسفة ، هو هذا التعريف المختصر الجامع ، على طريقة الكندي فى الحد الموجز : "الفلسفة هى علم الأشياء بحقائقها" وهذه الحقائق كلية ، لأن الفلسفة كما يقول الكندي - لا تطلب معرفة الجزئيات ، إذ أن الجزئيات غير متناهية ، واللامتناهى لا يحيط به العلم .^{٢٠}

منزلة الفلسفة عند الكندي :

وسواء عرفنا الفلسفة بهذا التعريف أو ذاك ، فباتها على كل حال فى نظر الكندي "أعلى الصناعات منزلة ، وأشرفها مرتبة" ويعطى الكندي ذلك فيقول : "لأن غرض الفيلسوف فى علمه : إصابة لحق وفى عمله : العمل بالحق" ، وإذا كانت هذه التعريفات السابقة تشير إلى جوانب متفاوتة فى الشرف والمنزلة فإن أشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة - فيما يرى الكندي - هى الفلسفة الأولى

فللفلسفة من حيث هى "علم الأشياء بحقائقها" شرف على جميع العلوم الإنسانية ، ولكن الشرف الأعلى بين علوم الفلسفة هو للفلسفة الأولى التى هى عند الكندي " علم العلة الأولى " أو "علم الحق الأول الذى هو علة كل حق" ، وهذا الشرف يرجع إلى أن شرف العلم من شرف موضوعه ، وأن العلم بالعلة أعلى درجة من العلم بالمعلول ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن العلم بالعلة سبيل إلى العلم التام بالمعلول ، والفيلسوف التام الأشرف هو الذى

^{٢٠} (راجع تصدير الدكتور أبى ريدة ص ٤٢ - ٤٤ وتفكير الفيلسوف فى الإسلام ص ٢٢١ دار المعارف بمصر

الطبعة الثانية ١٩٨٩

يحيط بهذا العلم الحق ، ومن حيث العمل بالحق ، لأن في معرفة الحق كمال الإنسان وتمام نوعه.

ويقول الكندي تحت عنوان " حد الفلسفة وعلو منزلتها " : "إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة ، التي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان ، لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق وفي عمله العمل بالحق" ، ويقول أيضا في نفس الكتاب : "وأشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة الفلسفة الأولى ، أعنى علم الحق الأول الذي هو علة كل حق ، ولذلك يجب أن يكون الفيلسوف التام الأشرف هو المرء المحيط بهذا العلم الأشرف ، لأن علم العلة أشرف من علم المعلول ... " ، "فبحق ما سمي علم العلة الأول "الفلسفة الأولى" إذ جميع باقى الفلسفة منطوق في علمها ، وإذ هي أول بالأشرف ، وأول بالجنس ، وأول بالترتيب من جهة الشئ الأيقن علمية ، وأول بالزمان ، إذ هي علة الزمان"^{٣١}

المطلب الثالث : دعوته لدراسة الفلسفة وحثه على طلبها :

بلغ الكندي من اعتزازه بالفلسفة وتقديره لها ، وحرصه على رواجها أنه قام بالدفاع عنها في كتابه " إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى " حيث يذكر أننا يجب أن نقوم بشكر الفلاسفة الذين سبقونا إلى البحث عن الحقيقة ، وكشفوا شينا منها ولو كان يسيرا ، ويعترف ويقر بما للمتقدمين على المتأخرين من فضل ودين ، ويرى أنه من الواجب أن نشكرهم ، لا أن نقوم بدمهم والهجوم عليهم ، وهو يستحسن في هذا الباب ما أثر عن أرسطو من قوله بوجوب الشكر لآباء من جاءوا بشئ من الحق ، فضلا عن وجوبه لأبنائهم .

يقول الكندي : "ومن أوجب الحق ألا نذم من كان أحد أسباب منافعا الصغار الهزلية ، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعا العظام الحقيقية الجدية ، فإنهم وإن قصروا عن بعض الحق ، فقد كاتوا لنا أنسابا وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم التي صارت لنا سبلا وآلات مؤدية إلى علم كثير مما قصروا عن نيل حقيقته " ، ثم يقول : " فينبغي أن تعظم شكرنا للآتين بيسير الحق ، فضلا عن أتى بكثير من الحق ، إذ أشركونا في ثمار فكرهم ، وسهلوا لنا المطالب الحقيقة الخفية بما أفادونا من المقدمات المسهلة لنا سبل الحق " ، ثم يستشهد بكلام أرسطو فيقول " "فأما أرسطوطاليس ، مبرز اليونانيين في الفلسفة فقال : ينبغى لنا أن نشكر آباء

^{٣١} (راجع كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى ص ٢٥ - ٣٠ الطبعة الثانية من رسائل الكندي الفلسفية ، راجع أيضا تصدير الدكتور أبى ريدة للرسائل - الطبعة الأولى ص ٤٤ والتفكير الفلسفي في الإسلام ص ٢٢ .

الذين أتوا بشئ من الحق ، إذ كانوا سبب كونهم ، فضلا عنهم ، إذ هم سبب لهم ، وإذ هم سبب لنا إلى نيل الحق - فما أحسن ما قال في ذلك " ٣٢ .

ثم يتحدث الكندي ويجد في حثه على طلب ودراسة الفلسفة فيرد على من قال إن الفلسفة جاءت إلينا من غير المسلمين فيؤكد على وجوب دراستها مهما كان مصدرها ، بمعنى أنه ينبغي أن نبحت عن الحقيقة بصرف النظر عن كونها يونانية أو عربية وبصرف النظر عن المصدر الذي أتت إلينا منه حيث يقول : " وينبغي لنا أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى ، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا ، فإنه لا شئ أولى بطلب الحق من الحق ، وليس ينبغي بخس الحق ، ولا تصغير بقليله ، ولا بالآتي به ، ولا أحد بخس بالحق ، بل كل يشرفه الحق " ٣٣ .

وفي هذا القول من الكندي تقدير لقيمة الحق وشرفه ، وحض على وجوب استحسانه واقتنائه ، أيا كان مصدره ، وهذه خصيصة جميلة تتجلى عند الكندي وتعبّر عن الحكمة العالية التي تتضمنها عبارات مشهورة فاضت عن الروح العربية الإسلامية مثل : " الحكمة ضالة المؤمن " ٣٤ . خذ الحكمة ولا يضررك من أي إناء خرجت . ، " لا تعرف الحق بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله " ٣٥ . ، والتي تبين في الوقت نفسه مقدار رغبة العرب ، أول عهدهم بالأفكار الأجنبية عنهم ، في الانتفاع بهذه الأفكار ، وضمها إلى تراثهم الفكري ، أيا كان نوعها أو مصدرها ، ما دامت تتسم بسمه الحق ، لأنه لا شئ أولى بطالب الحق من الحق ، كما يقول الكندي نفسه . ٣٦ .

ثم يشير الكندي إلى أن هناك من الناس من اعترض عليه في طلب الفلسفة ، وأنه لقي بسبب اشتغاله بالفلسفة عنتا شديدا ، فيسمى هؤلاء المحاربين له ، والثائرين عليه وعلى الفلسفة بأنهم " المتسممون بالعلم في عصره ، المتوجون بتيجان الحق " وهم عن العلم غرباء ، وفي ميدان الحق أدعياء ، وهنا - كما يقول الدكتور أبو ريدة - نجد ما يدل على صعوبة موقف الكندي ، وعلى وجود خصوم للفلسفة في ذلك العصر الذي عاش فيه ، وخصوصا نجد وصفا

٣٢ (راجع كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى ضمن رسائل الكندي الفلسفية ص ٣٢ - ٣٣ .

٣٣ (راجع المصدر السابق ص ٣٣

٣٤ (قيل إن هذا القول حديث شريف ولكنه ضعيف الإسناد لكن معناه صحيح "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أتى

وجدها فهو أحق بها " راجع الرسول والعلم ص ٥٢ .

٣٥ (هذا القول منسوب إلى الإمام على رضي الله عنه .

٣٦ (راجع مقدمة أبي ريدة لكتاب الكندي في الفلسفة الأولى ص ٨ والفلسفة الإسلامية للدكتور العراقي ص

لطانة الذين يطلبون الدنيا وحظوظ النفس التي تحجب عن البصيرة نور الحق ، وهم الذين يتخذون إظهار الدفاع عن الدين وسيلة للمحافظة على مناصبهم المزورة ، وهو يصفهم بأنهم المتجرون بالدين ، لأنهم ليسوا منه على شئ .

يقول الكندي "توقيا سوء تأويل كثير من المتسمين بالنظر في دهرنا ، من أهل الغربة عن الحق ، وإن تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق ، لضيق فطنهم عن أساليب الحق ، وقلة معرفتهم بما يستحق نوء الجلالة في الرأي والاجتهاد ، في الأنفاع العامة الكل الشاملة لهم ، ولدرانة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمية ، والحاجب بسدف سجوفه أبصار فكرهم عن نور الحق ، ووضعهم ذوى الفضائل الإنسانية التي قصروا عن نيلها ، وكانوا منها فى الأطراف الشاسعة ، بموضع الأعداء الجريئة الواثرة ، ذبا عن كراسيهم المزورة التى نصبوها من غير استحقاق ، بل للترؤس والتجارة بالدين ، وهم عديماء الدين لأن من اتجر بشئ باعه ، ومن باع شيئا لم يكن له ، فمن اتجر بالدين لم يكن له دين ، ويحق أن يتعزى من الدين من عاند قنية علم الأشياء بحقائقها ، وسماها كفرا".^{٣٧}

وأخيرا إن الكندي يلزم خصومه ومعارضيه بدراسة الفلسفة ، والاعتراف بوجوب اقتناء علمها مهما يكن من أمرهم حيث قال : "وذلك أنه باضطرار يجب على السنة المضادين لها اقتناؤها ، وذلك أنهم لا يخلون من أن يقولوا إن اقتناءها يجب أو لا يجب ، فإن قالوا إنه يجب ، وجب طلبها عليهم ، وإن قالوا إنها لا يجب ، وجب عليهم أن يحضروا علة ذلك ، وأن يعطوا على ذلك برهانا ، وإعطاء العلة والبرهان من قنية علم الأشياء بحقائقها ، فواجب إذن طلب هذه القنية بأنسنتهم ، والتمسك بها اضطرارا عليهم".^{٣٨}

^{٣٧} (راجع رسالة الكندي إلى المعتصم فى الفلسفة الأولى ص ٣٤ - ٣٥ ، ص ٨ - ٩ .

^{٣٨} (راجع المصدر السابق ص ٣٥ - ٣٦ .

المبحث الثالث

بين الدين والفلسفة لدى الكندي

المطلب الأول : ضرورة التوفيق بين الفلسفة والدين عند الكندي :

لا شك أن قضية التوفيق بين الفلسفة والدين ، أو بين العقل والوحي ، أو بين الحكمة والنبوة ، من القضايا التي فرضت نفسها فرضا على المحيط الإسلامي ، وبعبارة أخرى فرضتها البيئة الإسلامية على فلاسفة الإسلام ، ذلك لأنهم وجدوا أن دخول الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامية ، وترجمتها إلى اللغة العربية ، وجد مقاومة شديدة ولقى معارضة قوية من جانب كثير من علماء الدين ، حيث وجدوا أن هذه الفلسفة تشتمل على كثير من الآراء والأفكار المخالفة للعقيدة الإسلامية والنشريع الإسلامي ، وخاصة عندما تعرضت للمشكلات الميتافيزيقية التي تمس حقيقة العقائد التي ورد بها الدين ، لأنها تمثل روحا مبانة في كثير من المسائل للروح الإسلامية .

ولما كان هؤلاء الفلاسفة حريصين على التمسك بدينهم ، بالإضافة إلى تعلقهم بالفلسفة اليونانية فقد وجدوا أنه من الواجب عليهم أن يمهّدوا لها أرضا ثابتة في المجتمع الإسلامي ، فهم يؤمنون بأن دينهم الذي يدينون به وهو الإسلام حق لا شك فيه ، ويؤمنون كذلك بسمو الفلسفة اليونانية ، وينظرون إليها على أنها حق لا ريب فيه ، ولهذا فباتهم لم يريدوا أن يضحوا بالفلسفة من أجل الدين ، ولا أن يضحوا بالدين من أجل الفلسفة .

من أجل هذا فباتهم لجأوا إلى عملية التوفيق بين الدين والفلسفة ، وهذا يحقق لهم الاحتفاظ بهما ، وعدم التضحية بأحدهما في سبيل الآخر ، كما يحقق لهم التمكين للفلسفة في المجتمع الإسلامي ، وتهينة الأذهان لتقبلها : يذكر الدكتور محمد يوسف موسى أن الإحساس بالحاجة للتوفيق بين الدين والفلسفة أمر طبيعي يحسه المؤمن المكفر أو الفيلسوف ، ومحاولة هذا التوفيق تعتبر إلى حد كبير واجبا لازم الأداء ، وذلك ليحقق الانسجام بين معتقده الديني العامر به قلبه ، والنبي يعتبره فوق كل شك .

ثم أشار إلى أن الأوضاع الممكنة التي يصح أن تكون بين الشريعة والفلسفة لا تزيد عن ثلاث :

١- رأيد للدين والدين في مغيزه

-١

المتفلسف .

لا

-٢

يعنى إلا بالفلسفة .

نحو من الاتحاء ؟ وهذا هو الوضع الذي يجب أن يتخذه الفيلسوف المؤمن ، أو الذي يجب أن يبالي بالعقيدة ، ويعنى بها ، ويعتقدها.^{٣٩}

معنى ذلك أن فلاسفة الإسلام حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة في المشكلات الفلسفية والدينية التي خاض فيها كل فلاسفة الإسلام تقريبا ، سواء من كان منهم في المشرق كالكندي والغاربي وابن سينا ، ومن جاء بعدهم في المغرب كابن باجة وابن طفيل وابن رشد .^{٤٠}

وبهنا هنا أن نتحدث عن التوفيق بين الفلسفة والدين عند الكندي وقد كانت محاولته في هذا التوفيق محاولة شاقة باعتبار أنه كان أول فيلسوف عربي أو مسلم يتعرض لهذه القضية .

حيث إنه ينتمي إلى دين موحى به ، ولا بد أن تعرض بالنسبة له مشكلة العلاقة بين الفلسفة والوحي . وكان بين المفكرين المسلمين في عصر الكندي من ضرب عن الجدل صفحا ورفض إقامة العقائد عليه ، تجنباً لزعة أساس العقائد أو جعلها قائمة على أساس ظني نسبي ، وقد أراد هذا الفريق أن يكتفي بالحقيقة التي تضمنها الوحي شاعرا بها بقلبه ، متأملا لأدلتها القرآنية الواضحة بعقل سليم ، وموجها حياته في ظاهرها وباطنها نحو الحق والخير ، تحقيقا لفكرة المؤمن الخير كما تصورها ، وكان هذا هو مسلك المعروفين بطائفة السلف من كبار الفقهاء في ذلك العهد ، كما كان مسلك الزهاد الصوفية الأخلاقيين ، وكان ثم فريق من الباحثين في الدين بالنظر العقلي وقد حاولوا أن يضعوا أصول الدين في صورة عقلية فلسفية ، وإن يؤيدوها بالأدلة الجدلية والمنهج الفلسفي وإن يستعينوا بالأراء الفلسفية في بناء مذاهبهم ، إلا أنهم أسرفوا في نزعتهم العقلية حتى اصطدموا أحيانا بالأسس التي يقوم عليها الوحي نفسه ، وهؤلاء هم المعتزلة . ولا يخلو منطق مذاهبهم من تقليل أهمية النبوات .

ويظهر أنه كان ثم إلى جانب النزعة العقلية تيار إلحادي عند بعض المفكرين ، يميل إلى إنكار النبوة أو على الأقل إلى تضيق دائرة مهمتها بأن يجعلها مقصورة على نواح عملية وتشريعية تعبدية ، مع ترك الجزء الجوهري في العقيدة ، وفي فهم الكون وتوجيه الحياة الإنسانية للعقل . وكثير من العلماء المسلمين يردون أصل هذا التيار إلى البراهمة ، ومهما يكن من خلاف بين الباحثين المحدثين في ذلك ، فإن هذه الفكرة هي أساس الاتجاه الإلحادي في ذلك العصر ، وهي تدخل ضمننا وإلى حد ما في مذاهب المتكلمين العقليين .

وأخيرا هناك فريق العلماء المتمسكين بعلم الظاهر ، عقلهم قانوني متجه إلى المسائل الشرعية ، وغير ميال إلى تدقيقات المتكلمين في أبحاثهم ، ولا إلى البحث النظري في مسائل العقيدة . ولم يكن هذا الفريق يخلو من قوم لهم في ذلك أغراض دنيوية من منصب ما ، وهذا

^{٣٩} (راجع كتابه بين الدين والفلسفة في رأى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط ص ٤٥ - ٤٦ العصر الحديث للنشر والتوزيع .

^{٤٠} (راجع تفصيل ذلك في مذاهب فلاسفة المشرق ص ٣٥ دار المعارف الطبعة السابعة ١٩٨٣ م وفي دراسات فلسفية وأخلاقية للدكتور محمد كمال جعفر ص ١٧٢ وما بعدها وأصالة التفكير الإسلامي للدكتور عبد المقصود عبد الغنى ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

مما يزيد في عدائهم لأهل الكفاية العقلية ، وفي معارضتهم للنظر الفلسفي وأصحابه ، مع أن الفلسفة في ذلك العهد كانت ألزم شيء لتأييد الدين ، ودرء الخطر الذي كان يتهدد العقيدة البسيطة الواضحة بالتشويش الآتي من كثرة الآراء والمذاهب الدينية الفلسفية الجديدة ، ومن محاولات أعداء الإسلام من ثنوية وماتوية وديصانية وغيرهم أن يفسدوه من الداخل.

وكان لابد للكندي ، من حيث هو فيلسوف مسلم ، أن يدخل الإسلام في اعتباره ، من وجه ما ، ميراثا روحيا عزيزا يعتقد انه يطابق العقل - كان لابد أن يتخذ في مشكلة العلاقة بين الدين والفلسفة موقفا واضحا ، وأن يعالج المسألة من نواحيها المتنوعة ويقوم بواجبه كمسلم ومتفلسف في علم وفهم وحزم : هو لا يرفض الفلسفة جملة ، لان فيها آراء تعتمد على العقل والبرهان . ثم إن الفلسفة هي بحسب تعريف الكندي " علم الأشياء بحقائقها". ويدخل في ذلك ، بحسب رأيه علم الربوبية والوحدانية وعلم الفضيلة ، وكل علم نافع يهدي الإنسان إلى الخير ويتنكب به عن الشر ، وهذا في نظر الكندي هو ما جاء به الرسل الصادقون من عند الله^{٤١}

ولذلك فإن الدكتور الأهواني يذكر أن الكندي حاول أن يدافع عن نفسه باعتبار أنه ممثل الفلسفة الناطق بلسانها ضد علماء الدين ، وذلك في قضية الصراع بين الدين والفلسفة ، حيث لم تمر هذه القضية في التاريخ الإسلامي سهلة ميسورة ، وكان فيلسوف العرب "الكندي" أول من ثبت أقدام الفلسفة في المجتمع الإسلامي وتلقى سهام أصحاب الدين ، ففتح بذلك الطريق أمام دخول الفلسفة حظيرة الإسلام وانتصرت الفلسفة حيناً ، وثبتت أقدامها ، وانهزمت حيناً آخر ، وحكم عليها بالتوارى والانزواء .^{٤٢}

ويرى الدكتور عبد المعطى بيومى أن الكندي كان أول فيلسوف حقيقى ، انتقل من دور الترجمة والنقل إلى دور الفلسفة الحقيقية ، إذ طوع العناصر اليونانية ، ومزجها مزجا بحيث أمكن أن يوفق بينها وبين الإسلام، محتفظا للإسلام بالأصول الأساسية .^{٤٣}

وأياً ما يكن فإن الكندي ينظر إلى الفلسفة نظرة سامية ، وهذا يتضح من قوله ((إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة ، وأشرفها مرتبة ، صناعة الفلسفة التي حدها: علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان ، لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق ، وفي عمله العمل بالحق)) ، ومن ثم كان عليه باعتباره أول فيلسوف عربي مسلم أن يمهّد لها بين المسلمين ، لأن كثيراً منهم كان يرى أنها تتعارض مع حقائق الدين ، ولذا فإنه اهتم بالتوفيق بين الدين والفلسفة. اهتماما كبيراً لدرجة أنه يعتبر من الموضوعات الجوهرية في فلسفته ،

^{٤١} راجع تصدير الدكتور أبى ريدة للرسائل ص ٥٢ - ٥٣ .

^{٤٢} (راجع الكندي فيلسوف العرب ص ٥٢ - ٥٣ .

^{٤٣} (راجع الفلسفة الإسلامية من المشرق إلى المغرب ج ١ ص ١٥٣ .

المطلب الثاني : أسباب التوفيق لدى الكندي

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت الكندي إلى التوفيق بين الدين والفلسفة واضطرته إلى الموازنة بينهما أنه :

أولاً: عاش في عصر المأمون الخليفة العباسي الذي توفي عام ٢١٨ هـ والذي ناصر الاتجاه العقلي المتمثل في المعتزلة وقولهم بخلق القرآن الذي بلغت الترجمة للفلسفة اليونانية أوجها في عصره ، فأراد الكندي بالتوفيق بين الدين والفلسفة أن " يوجد مبرراً للتأييد الذي لقيته الفلسفة في عصر المأمون خاصة ، وليبرهن على أن هذا التأييد إنما هو لمصلحة الفكر الإنساني ولتدعيم العقائد الإسلامية " .^{٤١}

ثانياً: كذلك فإنه عاش في عصر المعتصم بالله الذي تولى الخلافة بعد المأمون حيث تولى من عام ٢١٨ هـ إلى عام ٢٢٧ هـ ، وكان الكندي من المقربين عند المعتصم حتى جعله مؤدب ابنه ، فتطلع إلى دعوته للفلسفة ، حتى يكسب تأييده لها ، وتشجيعه على طلبها ، فألف له كتاباً - سبق أن أشرت إليه ويسمى هذا الكتاب " كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى .

ولا شك أن كتبه أيام صلته بقصر الخلافة وحظوته فيه ، بدليل ما نجده في أوله من رفع لشأن المعتصم وإشادة بآبائه وبما للتمسك بهداهم من الخير ، وكان يناقسه في كسب تأييد الخليفة والحظوة عنده طوائف كثيرة سواء كانوا من المتكلمين أو الفقهاء أو المحدثين ، وكانت الخصومة في ذلك العصر عنيفة حادة بين الفقهاء والمتكلمين ، كما كانت ناشئة بين المتكلمين والفلاسفة ، غير أن خصومة المتكلمين والفلاسفة أخذت طابع التنازع بين الدين والفلسفة ، ولم يكن أيسر من أن يرمى المتكلمون بالفلاسفة بالكفر حتى يحل عليهم نقمة الخليفة وغضب الجمهور ، لذلك عنى الكندي في مقدمة هذا الكتاب بنفي تهمة الكفر عن الفلسفة ، وبيان اتفاقها مع مبادئ الدين ، وأن رجال الدين - ويقصد بعض علماء الكلام - إنما هم قوم عديماء دين ، يتجرون باسمه دفاعاً عن كراسيهم المزورة ، إلخ ما ذكره في حقهم مما نقلته واشترت إليه آنفاً .^{٤٢}

ثالثاً: كذلك فإن الكندي قد بين أن الغرض من تأليفه لهذا الكتاب ، إقامة الحجة على وجود الله الواحد الحق بأدلة تقمع كفر الجاحدين وتهتك سجوف فضائحهم ، وتبين عن عورات مذاهبهم المردية في الهلاك ، حيث يقول في ثنايا الكتاب : " فنحن نسأل المطلع عن سرانرا والعالم

^{٤١} (راجع المصدر السابق .

^{٤٢} (راجع مقدمة الدكتور أبي ريدة لهذا الكتاب ص ٥ والكندي فيلسوف العرب للدكتور الأهواني ص ٢٧٧ -

باجتهادنا فى تثبيت الحجة على ربوبيته وإيضاح وحدانيته ، وذب المعتادين له ، الكافرين به عن ذلك با لحجج القائمة لكفرهم والهاتكة لسجوف فضائحهم ، المخبرة عن عورات نحلهم المردية ، أن يحوطنا ومن سلك سبيلنا ، بحصن عزه الذى لا يرام ، وأن يلبسنا سراويل جنته الواقية ، ويهب لنا نصرة غروب أسلحته النافذة ، والتأييد بعز قوته الغالبة ، حتى يبلغنا بذلك نهاية نيتنا من نصرة الحق وتأييد الصدق ، ويبلغنا بذلك درجة من ارتضى نيته وقيل فعله ، ووهب له الفلاح والظفر على أضداده الكافرين نعمته والحاندين عن سبيل الحق المرتضاة عنده

١٦ .

يذكر الدكتور أبو ريدة أن دعاء الكندي لله وسؤاله التوفيق والحفظ يدل على إيمان عميق ، يذكرنا بما نعرفه عند أصحاب النفوس الكبيرة ، حين تغف بين العلوم العقلية والفلسفية من جهة ، وعلوم الدين وعقائده من جهة أخرى ، ويرى أنه بما كشف عنه من غرضه وهدفه من تأليف هذا الكتاب يعد بطلا عربيا جريئا مخلصا ، يحمل الراية مدافعا عن أصول العقيدة الإسلامية فى مواجهة التيارات الإنكارية المعادية ، وأيضا أمام الجامدين الذين يرفضون العلوم العقلية ، ويزعمون أنهم يدافعون عن الدين ، وهذا الذي يعتقده الكندي من الاتفاق بين الفلسفة والدين هو الذي يشجعه على الجراءة فى مهاجمته لأعداء الفلسفة فنجدده يفضح سوء مقصدهم وتمسكهم بأغراض دنيوية وشخصية باطلة زائلة ، ويحاول فيلسوفنا أن يلزم خصوم الفلسفة وجوب دراستها لأنهم فى دعواهم بطلانها يحتاجون إلى دليل ، وهذا لن يتيسر لهم إلا إذا درسوا الفلسفة ليقدموا البرهان على دعواهم^{١٧}

رابعا: يضاف إلى ذلك أن الكندي قد عاش فى عصر الخليفة العباسى (المتوكل على الله) والذى تولى الملك ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) ، والذى فى عصره عاد سلطان أهل السنة ، وقوى نفوذهم ، فبعد أن انتصر المأمون لمذهب المعتزلة الذين هم أقرب إلى الفلاسفة جاء المتوكل على الله ، وانتصر لأهل السنة ، ووقف ضد المعتزلة والذين عرفوا باتجاههم العقلى ، ومن هنا وجد الكندي من الواجب عليه أن يدافع عن النظر العقلى الفلسفى ، أى تلك البحوث والدراسات التى يقوم بها الفلاسفة ، فلا جرم إذن - فيما يقول الدكتور / محمد يوسف موسى - أن رأيناه يحس بالقلق والخوف من رجال الدين وسلطانهم ، وكان ما رواه ابن أبى أصيبعة من أنه أؤذى بسبب اشتغاله بالفلسفة ، ولهذا كان لابد له من محاولة التوفيق بين الشرع والعقل أو بين الدين والفلسفة ، ولذلك نجد ابن النديم يذكر له ضمن مؤلفاته: "رسالة فى إثبات الرسل عليهم السلام" ورسالة أخرى فى "نقض مسائل الملحدين" ورسالة ثالثة فى الرد على

١٦ (راجع كتاب الكندي إلى المعتصم ص ٣٦ .

١٧ (راجع مقدمة الكتاب السابق ص ٩ . وتصديره للرسائل ص ٥٤

الثنوية" ، كما نجد ظهير الذين البيهقي يذكر أنه " قد جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات " ^{٤٨} .

المطلب الثالث : أسس التوفيق بين الدين والفلسفة لدى الكندي :

أما فيما يتعلق بالأسس أو الركائز الذي اعتمد عليها فيلسوف العرب (الكندي) في التوفيق بين الدين والفلسفة فإنها كما يلي :

أولاً: من جهة الموضوع :

حيث يرى الكندي أن الدين والفلسفة يتفقان في الموضوع فموضوعهما واحد ، وفي ذلك يقول رداً على من يعاند قنينة علم الأشياء بحقائقها (الفلسفة) وسماها كفراً " لأن في علم الأشياء بحقائقها : علم الربوبية، وعلم الوجدانية، وعلم الفضيلة ،وجملة علم كل نافع والسبيل إليه ، والبعد عن كل ضار والاحتراس منه " ، ثم يبين أن هذا كله قد جاء به الرسل فيقول : "واقتناء هذه جميعاً هو الذي أنتت به الرسل الصادقة عن الله ، جل ثناؤه . فإن الرسل الصادقة صلوات الله عليهم إنما أنتت بالإقرار بربوبية الله وحده ، ويلزوم الفضائل المرتضاه عنده ، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ضواتها، وإيثارها" ، ومن أجل ذلك دعا الكندي إلى التمسك بالفلسفة ، والحث على طلبها فقال : "فوجب إذن التمسك بهذه القنينة النفيسة عند نوى الحق ، وأن نسعى في طلبها بغاية جهدنا لما قدمناه " ^{٤٩} .

فالفلسفة والدين متفقان من ناحية الموضوع في نظر الكندي، لأن موضوع الفلسفة معرفة الله ووجدانيته ، ومعرفة الفضائل النافعة لاتباعها ، والرذائل الضارة لاجتنابها ، وهذان هما موضوع الدين الذي يأمر بمعرفة الله وتوحيده ، كما يأمر بالتقوى وهي فعل الحلال وتجنب الحرام ، والتحلي بكمال الأخلاق ، ومعنى ذلك كما يقول الدكتور الأهواني أن كلا منهما في نظر الكندي يطلب الحق والخير . ^{٥٠}

ثانياً: من جهة الغاية:

يذهب الكندي إلى القول بأن الفلسفة تتفق مع الدين من ناحية الغاية والهدف ، حيث يهدفان معا إلى معرفة الحق والوصول إلهي ، والاهتداء به ، حيث ذكر في رسالته إلى المعتصم بالله مبيناً

^{٤٨} (راجع الفهرست لابن النديم ص ٣٦٢ وبين الدين والفلسفة لدى ابن رشد ص ٤٩ ومذاهب فلاسفة

المشرق ص ٣٧ .

^{٤٩} (راجع كتاب الكندي إلى المعتصم ص ٣٥ .

^{٥٠} (راجع الكندي فيلسوف العرب ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

غاية الفلسفة ومنزلتها وغاية الفيلسوف وغرضه" أن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة ، التي حددها " علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان ، لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق ، وفي عمله العمل بالحق " ، ثم يقول أيضا : "وأشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة : الفلسفة الأولى ، أعنى علم الحق الأول الذي هو علة كل حق".^{٥١}

معنى ذلك أن الكندي يرى أيضا اتفاق الفلسفة مع الدين في الغاية والهدف ، وهو بذلك يدافع عن الاشتغال بالفلسفة أو الحكمة ، بحيث لا يطعن فيها الطاعنون ، طالما أن المقصد منها نظريا كان أو علميا من المقاصد النبيلة ، ويوضح ذلك الدكتور / عاطف العراقي بقوله " إذا كان الفيلسوف يسعى نظريا إلى إصابة الحق ، ويسعى من جهة العمل أن يعمل بالحق الذي يدركه بالنظر ، فإنه لا يستطيع واحد من المهاجمين أن يطعن في الاشتغال بعلوم الحكمة ، طالما أن الغرض نظريا ، والغرض عمليا ، من الأغراض الحقّة المشروعة ".^{٥٢}

وحيثما أخذ الكندي يشرح قوله تعالى " والنجم والشجر يسجدان " ^{٥٣} قال : ولعمري ، إن قول الصادق ، محمد صلوات الله عليه ، وما أدى عن الله ، جل وعز ، لموجود جميعا بالمقاييس العقلية التي لا يدفعها إلا من حرم صورة العقل ، واتحد بصورة الجهل من جميع الناس ، فأما من آمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدق ، ثم جحد ما أتى به ، وأنكر ما حاول ذوو الدين والألباب ، ممن أخذ عنه ، صلوات الله عليه ، فظاهر الضعف في تمييزه ، إذ يبطل ما يثبته وهو لا يشعر بما أتى من ذلك ، أو يكون ممن جهل اللغة التي أتى بها الرسول ، صلوات الله عليه ، ولم يعرف اشتباه الأسماء فيها ، والتصريف والاشتقاق ، اللواتي - وإن كانت كثيرة في اللغة العربية - فإنها عامة لكل لغة ،

وبذلك فإن الكندي يشترط لفهم معاني القرآن أن يكون المفكر من ذوى الدين والألباب ، قادرا على فهم مقاصد كلام الوحي ، عارفا بخصائص التعبير اللغوي وأنواع دلالاته عند العرب ، جاء ذلك في رسالته التي ألفها استجابة لسؤال لتميذه الأمير أحمد المعتصم الذي طلب من فيلسوفنا أن يشرح له معنى الآية المشار إليها سابقا " والنجم والشجر يسجدان " وهي الرسالة التي سماها " رسالة في الإبانة عن سجود الحرم الأقصى وطاعته لله عز وجل " ، فبين له معنى السجود والطاعة في اللغة حقيقة ومجازا ، وينتهي إلى أن سجود النجوم لله - نظرا لأنه لا يمكن أن يقع منها السجود الحقيقي بحسب الاصطلاح الشرعي - معناه هو أنها بجرياتها على

^{٥١} (راجع كتاب الكندي إلى المعتصم ص ٢٥ ، ٣٠ .

^{٥٢} (راجع مذاهب فلاسفة المشرق للدكتور عاطف العراقي ص ٣٩ نشر دار المعارف بمصر

^{٥٣} (سورة الرحمن : ٦ .

مجاريها والتزامها حركاتها الثابتة التي تنشأ عنها الظواهر الجوية ، والحوادث الأرضية من كون وفساد وتغير ، تحقق إرادة بارئها، وتنتهي إلى أمره ، وتؤدي وظيفتها المعنية لها في نظام العالم - وهذا ما يمكن أن يعبر عنه مجازاً بأنه سجد " .

هذه هي أهم الأفكار والأسس التي قامت عليها محاولة الكندي في التوفيق بين الدين والفلسفة ، وقد هيات هذه الأفكار والأسس لمحاولته هذه ، القبول من كثير من المسلمين ، وإذا كانت محاولته تتفق مع محاولات الفلاسفة المسلمين الذين ساروا على دربه في القول بوحدة الحقيقة الفلسفية والدينية ، فإنها تتميز عن كثير منها بأنها حافظت على مكانة الدين وسموه ، وأكدت تفوقه على الفلسفة ، وذلك " لانتدائه إلى الحكمة الإلهية ، ولمجيبه على يد الأنبياء الذين يحتلون أرفع مكانة ، ويحملون رسالة إلهية تفوق مدارك البشر " " ، وهو ما سيتضح في هذا المطلب

المطلب الرابع : اختلاف الفلسفة عن الدين في المنهج عند الكندي :

وقد يظن البعض حينما يجد حماس الكندي للفلسفة ، وقيامه بالتوفيق بينها وبين الدين ، أنه يتساهل مع الفلسفة إلى حد يدعو إلى التنازل عن الوحي أو النبوة ، أو إلى خلط ذلك بالفلسفة ، والصحيح أن الكندي قد بذل جهداً كبيراً في الدفاع عن الدين ، وفي الحفاظ على النبوة ، حيث جعل بعض مؤلفاته خاصة بإثبات النبوة على إطلاقها ، وهذا ما يجوز أن تكون قد تضمنته رسالته المسماة " رسالة في تثبيت الرسل عليهم السلام " ، ولا شك أن هذه الرسالة كانت موجهة ضد منكري النبوات أيا كانوا ، وأيا كان رأيهم في ضرورتها أو اختصاصها ،

ومن جهة أخرى فإنه يضم إلى ذلك محاولة دفاعية عن أديان الوحي من وجهة نظر أوسع ، عمادها البحث عن الجزء الجوهرى المشترك بينها ، وهذا ما ربما تدل عليه رسالته التي لم تصل إلينا والتي أسماها "رسالة في افتراق الملل في التوحيد وأنهم مجمعون على التوحيد ، وكل قد خالف صاحبه" ، يذكر "دى بور" أن الكندي كان يؤكد القول بالعدل والتوحيد ، وعارض نظرية كانت تنسب في ذلك الزمان للهند أو البراهمة ، أساسها أن العقل وحده يكفى مصدراً للمعارف وأخذ يدافع عن النبوة ، ثم يذكر أنه في محاولته التوفيق بينها وبين العقل ، حدا به الإمام بالمذاهب في مختلف الملل أن يقارن بعضها ببعض ، فوجدها مجمعة بأسرها على الاعتقاد بأن العالم صادر عن علة أولى واحدة أزلية ، لا يستطيع علمنا أن يعرفها بأكثر من هذا ، ولكن من الواجب على كل ذى نظر ثاقب أن يقر بالوهمية هذه العلة الأولى ، والله قد

^{٥١} (راجع تصدير الدكتور أبى ريدة للرسائل ص ٥٣ - ٥٤ ، ٣٧٢ ، والتفكير الفلسفى فى الإسلام ص ٢٢٣ -

٢٢٤ ، وأضواء على التفكير الفلسفى فى الإسلام للدكتور عبد المقصود عبد الغنى ص ٣٣٠ مكتبة الزهراء

أرشدنا إلى هذا السبيل ، وأرسل رسله شهداء على الناس ، وأمرهم أن يبشروا من أطاعهم
بالنعيم المقيم ، و أني نذروا من عصاهم بالعذاب الدائم. ^{٥٥}

أما فيما يتعلق بموقف الكندي من الفلسفة والدين من ناحية المنهج فإنه يرى أن الفلسفة رغم
اتفاقها مع الدين في الموضوع والغاية ، فإنهما يختلفان في المنهج ، حيث نبه في رسالته التي
عنوانها "رسالة في كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة" على الفرق
بين علوم الأنبياء وعلوم الفلاسفة من حيث الطريق المؤدية إليها ومن حيث مصدرها
وخصائصها ، ويجوز في نظر الدكتور أبي ريدة أن الذي دعا فيلسوفنا إلى معالجة الموضوع
في هذه الرسالة بعينها هو أنه فيها كان يواجه مذهب أرسطو في شموله وقوته ، وما يتجلى فيه
من جهد إنساني عظيم ، فكان ذلك سببا في أن شعوره الديني أو إيمانه بالنبوات وعلومها قد
تنبه لنفسه على نحو إرادي أو غير إرادي ، فلم يكن بد من أن يؤكد للنبوة خاصتها على نحو
واضح ، ورأيه يختلف عن التفسيرات التعسفية الوهمية التي نجدها عند فلاسفة الإسلام بعد
ذلك. ^{٥٦}

إن الكندي يتحدث في هذه الرسالة عن علوم الفلاسفة والعلوم البشرية فيذكر أنها إنما تأتي عن
طريق الاكتساب والتدريب والتجربة وطول البحث ، واتباع مبادئ منطقية ورياضية وما شابه
ذلك من طرق تعد كسبية وتأتي خلال الزمان ، أما علوم الأنبياء فإنها تكون بلا طلب ولا تكلف
ولا بحيلة بشرية ولا زمان ، بل إنها تكون بإرادة الله تعالى حيث تأتي من طريق فعل إلهي في
نفوس الأنبياء ، وهذا الفعل يظهرها وينيرها ويهينها للعلوم الإلهامية بإرادة الله ، وهذه في
نظر الكندي خاصة عجيبة تعلو على الطبيعة ، وهي تميز بين الأنبياء وبين غيرهم ، وتؤثر في
الناس فيخضعون للأنبياء وينقادون إليهم ، كما قد انعقدت الفطر الإنسانية على تصديق
الأنبياء وقبول علومهم - يقول الكندي في ذلك " فأما الرسل فلا بشئ من ذلك - يشير إلى طرق
الفلاسفة - بل بإرادة مرسلها جل وتعالى بلا زمان يحيط بطلب ولا غيره ، تستيقن العقول أن
ذلك من عند الله جل وتعالى " .

أما من حيث الخصائص التي تتميز بها علوم الأنبياء فإن الكندي يذكر أنه عند تأمل صورتها
اللفظية ، نجدها موجزة بيّنة محيطية بالمطلوب قريبة السبيل إلى العقل النير الصافي ، لأنها
تفيض من معين العلم الإلهي الأزلي الكامل الذي لا نهاية له ، فكلام الله سبحانه في القرآن
جوابا عما سنل به الرسول صلى الله عليه وسلم هو غاية في الوجازة والبيان وقرب السبيل

^{٥٥} (راجع تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٨٠ - ١٨١ وتصدير أبي ريدة ص ٥٤ - ٥٥ .

^{٥٦} (راجع التصدير ص ٥٥ .

والإحاطة بالمطلوب ، على حين أن الفيلسوف إذا قصد الجواب عنها فيكون ذلك "بعد طول الدأب في البحث والتروض"^{٥٧}.

"وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه" :

ويضرب الكندي لما قاله بشأن القرآن الكريم مثلاً من الوحي الإلهي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . هذا المثل هو ما جاء جواباً عن سؤال وجهه منكرو البعث من العرب وهو قولهم : "من يحي العظام وهي رميم" ، فأجاب الله سبحانه بقوله : "قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم" إلى قوله تعالى "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون"^{٥٨}.

وأخذ الكندي يفسر هذه الآيات الكريمة تفسيراً فلسفياً ، هو مثال للتفسير الفلسفي في ذلك العصر ، وفيه يبرز فيلسوفنا الأصول النظرية التي تتضمنها هذه الآيات من جهة ، ويستخرج النتائج التي تلزم عنها من جهة أخرى ، وهي :

- ١- وجوئشي من جديد ، بعد كونه وتحلله السابقين ممكن ، بدليل مشاهدة وجوده بالفعل مرة ، لا سيما أن جمع المتفرق أسهل من إيجاده وإبداعه عن عدم ، وإن كان لا يوجد بالنسبة لله شيء هو أسهل ، وشيء هو أصعب . هذا الدليل موجود في قوله تعالى "قل يحييها الذي أنشأها أول مرة".
- ٢- روللشي من نقيضه ، كظهور النار من الشجر الأخضر ، ممكن وواقع تحت الحس ، وإن يمكن أن تدب الحياة في الجسد المتحلل الهامد مرة أخرى ، وذلك أيضاً على أساس المبدأ الأكبر ، وهو أن الشيء يمكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل المبدع الحق . وهذا الدليل موجود في قوله تعالى "الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون"
- ٣-

وهذا هو مضمون قوله تعالى "أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم".

^{٥٧} (راجع تفصيل ذلك في المصدر السابق ص ٥٥ - ٥٦ وبين الدين والفلسفة للدكتور محمد يوسف موسى

ص ٥٠ - ٥١ ومذاهب فلاسفة المشرق ص ٤٣ - ٤٤ .

^{٥٨} (أواخر سورة يس .

٤- قظم لهممفللوعظممفللخلق لا يحتاج من جانب إله المبدع لا إلى

مادة ولا إلى زمان - خلافاً لفعل البشر الذي لا يتم إلا في زمان ، ويحتاج إلى مادة

تكون موضوع الفعل

وهذا هو معنى قوله تعالى "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" ، وهذه الآية في رأي الكندي ، إجابة عما في قلوب الكفار من التكبر بسبب ظنهم أن الفعل الإلهي المتجلى في خلق العالم الكبير يحتاج إلى زمان يناسب عظمته ، قياساً منهم لفعل الله على فعل البشر لأن فعل البشر لما هو أعظم يحتاج إلى مدة زمنية أطول ، فجاءت الآية حاسمة في بيان نوع الفعل الإلهي ، وأنه إبداع بالإرادة الخالقة ، والقدرة المطلقة ، لا يحتاج إلى مادة ولا إلى امتداد زمني .

ولا يغفل الكندي عن اعتراض شكلي يمكن توجيهه إلى فكرة الخلق المطلق من طريق أمر التكوين الإلهي ، وهو قول الله للشيء " كن " ، ذلك أن الشيء ما دام لم يبرز إلى عالم الوجود ، لا يمكن أن يوجه إليه خطاب ، يقول الكندي : " إن التعبير في آية ((إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كُن فيكون)) تعبير مجازي ، فيه يوصف الشيء بما ليس له ، أي إنما يريد ، فيكون مع إرادته ما أراد ، جل ثناؤه ، وتعالى أسماؤه عن ظنون الكافرين ، إذ ليس هناك مخاطب بقوله تعالى " كن " ، فإن الشيء لم يكن قد وجد بعد ، فإن هذا في لغة العرب المخاطبين بهذا القول : بين مستعمل ، فإتما خوطبوا بعادتهم في القول ، فإن العرب تستعمل للشيء في الوصف ما ليس في الطبع : كقول امرئ القيس بن حجر الكندي :

فقلت له لما تمطي بصلبه *** وأردف أعجازاً وناء بكلل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي *** بصبح وما الإصباح منك بأمثل

والليل لا يقال له ولا يخاطب ، ولا صلب له ولا أعجاز ، ولا كلل ، ولا نهوض وإنما معناه : أنه أحب أن يصبح .

ومن هنا نجد الكندي حريصاً كل الحرص على التنبيه والإشارة إلى ما يتميز به الوحي الإلهي عن العلم الفلسفي حيث يقول بعد تفسيره لهذه الآيات الكريمة : "فأي بشر يقدر بفلسفة البشر ، أن يجمع في قول يقدر حروف هذه الآيات ما جمع الله ، جل وتعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم فيها من إيضاح أن العظام تحيي بعد أن تصير رميماً ، وأن قدرته تخلق مثل السماوات والأرض ، وأن الشيء يكون من نقيضه؟! ، كلت عن ذلك الألسن المنطقية المحيلة ، وقصرت عن مثله نهايات البشر ، وحجبت عنه العقول الجزئية .

وهكذا نجد عند الكندي نموذجاً من تفسير القرآن علمياً فلسفياً ، لا تكلف فيه ولا إغراب ، بحسب أن نضعه إلى جانب التفسيرات التي حفظت إلينا عن ذلك العهد مثل تفسيرات النظام ، وأبي الهذيل والجاحظ من المفكرين المتفلسفين ، لكي نعرف كيف فهمت آيات القرآن في ذلك العصر

في ضوء التفكير النظري ، وكانت هذه الآيات مصدرا لأصول وآراء وبواعث فكرية ومثارا لمشكلات وحلول لها تقابل ما يوجد في الميدان الفلسفي ، وكيف احتج بها المتكلمون أو استندوا إليها في أدلتهم ، وكيف كان القرآن بوجه عام عاملا موجها للفكر الفلسفي^{١١}

وقد عني الكندي عناية كبرى ، واهتم اهتماما شديدا ، بالبحث في الإلهوية التي تعتبر من أهم القضايا الكبرى التي تدرسها الفلسفة ، والتي تتمثل في : الله والكون ، والإنسان فقد شغلت الفلسفات المختلفة نفسها بالبحث في هذه الموضوعات ، إلا أن البحث في الله يعد أشرف أبحاث الفلسفة ، وليس لأي فلسفة صحيحة أن تعزل نفسها عن هذا البحث ، ومهما حدث من تغيرات في الفكر المعاصر ((فإن فكرة الله تبقى موضوعا ضروريا للبحث ، وبدونها لا يمكن تكوين نظرة شاملة عن الكل ، وما أمل فيه الوضعيون من إمكان استبعاد كل نظرة فوق طبيعية عن مجال الفكر ، فإن هذا الأمل يرجع إلى لا- فلسفة وليس إلى الفلسفة بمعنى الكلمة ، إن استبعاد البحث في الله ، يفضي إلى القضاء على الميتافيزيقا نفسها ، وهو أمر لا يستسيغه معظم المفكرين اليوم)) ،

وقد حرص الكندي في بحثه في الإلهوية على أمرين : الأول تأكيد وجود الله تعالى ووحدانيته بالبراهين العقلية ، ليكون في ذلك رد على الملحدين والمشركين ، والأمر الثاني : التوفيق بين الدين والفلسفة في هذا المجال ، وذلك لأنه وجد في الفلسفة ، وبخاصة فلسفة أرسطو بعض التصورات التي لا تتفق على الإطلاق مع الحقائق الدينية التي تتصل بالتصور الإلهي ، ويتجلى ذلك من خلال الحديث عن قوله بحدوث العالم ، وأنه وجد بعد أن لم يكن ، مخالفا بذلك أرسطو القائل بقدم العالم ، واعتماده على ذلك في استدلاله على وجود الله تعالى ووحدانيته ، حيث اعتبر أن إثبات حدوث العالم هو أحد الأسس التي يقوم عليها إثبات وجود الله ، وقد سبق أن أشرت إلي أن الكندي يمثل دور الانتقال من علم الكلام إلى الفلسفة الخالصة ، فقد كان متكلمًا يميل إلى مذهب المعتزلة ، ثم تحول إلى الفلسفة ، ومن ثم فإبنا نلاحظ أثر الثقافتين الكلامية والفلسفية في تفكيره ، وآرائه ، وفي استدلاله على وجود الله تعالى ، حيث استدل بعدد من الاستدلالات ، نقصر هنا على دليل واحد ، وهو ما يعرف بدليل الغائية والإتقان : وهذا الدليل يوجد لدى المتكلمين وإن كان بصورة تختلف عن الصورة التي عرضه عليها الكندي ، وعلى كل فإن أساس هذا الدليل يرجع إلى القرآن الكريم الذي اشتمل على آيات كثيرة تلفت نظر الإنسان إلى ما في الكون من مظاهر النظام والإتقان ، من ذلك مثلا قوله تعالى ((والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز الحكيم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)) (يس : ٣٨-٤٠) ، وقد مهد الكندي لهذا الدليل فذكر أن على المرء الذي يسعى إلى إدراك الله تعالى ومعرفته أن يعتمد على حواسه المتصلة بنور العقل ، وأن يكون موضوعيا في نظره ، لا يطلب إلا الحق ولا يسعى إلا إلى بلوغه ، وقد صرح بأن في ظواهر المخلوقات لأوضح الدلالة على تدبير مدبر أول " لمن كانت حواسه الآلية موصولة بأضواء عقله ، وكانت مطالبه وجدان الحق ، وغرضه الإسناد للحق ، واستنباطه ، والحكم عليه " .

وبعد هذا التمهيد عرض الدليل فقال : " فإن في نظم هذا العالم وترتيبه وفعل بعضه في بعض ، وإتقان بعضه لبعض وتسخير بعضه لبعض ، وإتقان هيئته على الأمر الأصلح في كون كل كائن ، وفساد كل فاسد ، وثبات كل ثابت ، وزوال كل زائل ، لأعظم دلالة على إتقان تدبير - ومع كل تدبير مدبر - وعلى أحكم حكمة - ومع كل حكمة حكيم - لأن هذه جميعا من المضاف .

^{١١} راجع تفصيل ذلك في تصدير الدكتور أبي ريدة ص ٥٦ - ٥٨ ورسائل الكندي ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ . والتفكير الفلسفي في الإسلام للإمام الدكتور عبد الحليم محمود ص ٢١٨ / ٢١٩ دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٨٩ .

ومعنى هذا أن كل ما في الكون من مخلوقات قد خلق خلقا معينا، ورتب ترتيبا خاصا بحيث يتسق مع غيره، وسخر بعضه لبعض ، ولكل شيء غاية يسعى نحوها ، ونظام يخضع له ، ولا شك أن هذا الإتقان والاتساق يشهد على حسن تدبير ، وهذا التدبير المتقن لا بد له من فاعل حكيم مدبر هو الله تعالى ((الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى)) (الأعلى: ٢٠٣). وينبغي أن ننبه إلى إن هذا الدليل يعتبر من أشهر الأدلة في الفلسفة عبر عصورها المختلفة فقد حظي بتقدير وإعجاب كثير من الفلاسفة والمفكرين في الشرق والغرب ، ولعل ذلك يرجع إلى أنه يعتمد على التأمل وملاحظة ما في العالم من نظام وإحكام وتدبير وما إلى ذلك مما لا يستطيع إنكاره العقلاء والباحثون عن الحق.

يذكر الدكتور أبو ريدة أن هذا الدليل القديم الذي يستحق – كما يقول كانت – أن يذكر مع الاحترام ، والذي هو أقوى الأدلة على وجود الله وأوضحها وأقربها إلى العقل الإنساني بوجه عام ، حيث يستند إلى فكرة الغائية والنظام والتضامن المشاهدة في العالم . ويردد الكندي في كثير من رسائله تأكيدات القول بعظم القدرة الإلهية وسعة الحكمة وفيض الجود وكمال العناية بكل شيء وجعل بعض الأشياء أسبابا وعلا لبعض الآخر .^{٦٠} يقول فيلسوف العرب في رسالته في سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل ، بعد بيانه لمعنى ذلك : " فهذه التي ينبغي أن تحس بها عظم قدرة الله ، جل ثناؤه وسعة جودة وفيض فضائله وإتقان تدبيره وأن يتعجب منها ذوو العقول النيرة ، ولا بسمو شجرة ، أو عظم حيوان كحوت أو تنين أو لجة أو فيل وما أشبه ذلك – فإن هذه أشبه بعجائبها بقدرته العامة ، وأن تتوهم الكل حيوانا واحدا مفصلا ، إذ هو جرم ولا فراغ فيه ، وفي أكثره – أعنى الجرم العلى الأشرف – القوة النفسانية الشريفة (الفاعلة) فيما دونه هذه القوى النفسانية ، على قدر الأمر الأصلح في كل واحد من ذوات الأنفس ، كبئسان واحد"^{٦١}

وهكذا يريد الكندي إلى جانب النظرة الفلسفية العلمية أن نتأمل النظام الكلى لهذا العالم تأملا ، فيه من روح التفلسف بمقدار ما فيه من روح النظرة الفنية ، بحيث يبدو لنا العالم كله كأننا واحدا منسجم التركيب ، يسرى فيه في جملته وتفصيله تيار الحياة ، وفي هذا يرى فيلسوف العرب الشهادة الكبرى على وجود الله وقدرته وحكمته وسائر صفات كماله ، في نظر المتأمل المسلم القطرة الذي قد أشرق نور العقل على ملاحظاته الحسية . ولا توجد الشهادة على المبدع في جزينات الكون مهما كانت بديعة الصنع في ذاتها ، بل توجد في العالم كله كقطعة فنية حية واحدة ،

ومن المعروف أن هذه النظرة المتنبهة للغائية السارية في الكون هي نظرة اليونان أيام سقراط ، وهي توجد بارزة جدا عند أفلاطون ، وتوجد إلى حد ما ومع شيء من التناقض الداخلي عند أرسطو،^{٦٢} بل تدل الكلمة التي يسمى بها اليونان هذا العالم – وهي كلمة (كوسموس) التي معناها الأصلي النظام أو قطعة الزينة الجميلة – تدل على الفكرة نفسها . أما بعض اللغويين وبعض متكلمي الإسلام فيذهبون إلى إن كلمة " عالم" ترجع في الأصل إلى كلمة " علم" بمعنى علامة الشيء ، زيدت فيها ألف للإشباع ، ولما كان هذا الكون مخلوقا يدل على خالقه ، فهو علم وعلامة يعلم بها وجود الخالق . ولذلك يسمى " عالما" .

^{٦٠} راجع تصدير الرسائل ص ٨٠ - ٨١ والكندي فيلسوف العرب ص ٣١٠ - ٣١٢ وأضواء على الفكر الفلسفي في الإسلام ص ٣٣١ ، ٣٣٣ - ٣٣٤ .

^{٦١} رسائل الكندي ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

^{٦٢} راجع مثلا كتب الطبعة ، الكتب الثانی ، القسم الثامن - لكن الغائية بدون القول بالعناية من جانب الخالق الحكيم والفاعل الحق لا قيمة لها

وفى نظرة الكندي للعالم شيء من نظرة اليونان ، لكن نظرتة تغذت من فكرة القول بالإله الخالق المبدع كما جاء بها القرآن الكريم ، حيث نجد التنبيه المستمر إلى تأمل نظام السموات والأرض وما فيهن من عظمة الصنع وإتقانه ودقته ، و حيث يوصف الله بأنه " أحسن الخالقين " الذي " أحسن كل شيء خلقه " وسواه على أحسن وجه . كما أن تلك النظرة تنعكس في الطبعية العربية الواضحة الأصافية ، فعلى حين تغلب عند أرسطو فى تصويره للكون نزعة عقلية ، تجعل العالم نظاما ذهنيا ونزعة فنية تجعله نظاما يرتبط برابطة العشق من المعلومات لعلتها ، وبرابطة الشوق إلى التحقق الذاتى فيما هو مركب من هوى و صورة ، وذلك دون أن تمتلئ فى هذه النظرة الأرسطية للعالم من الناحية الفلسفية والفنية فجوة كبرى ناشئة عن أنه يعتبره المحرك الأول صورة خالصة أو عقلا مفارقا مجردا ، لذته وحياته العليا تعقل لذاته ، بحيث يجهل العلم – لأن هذا العلم احظ من إن ينال العلم الإلهي – وبحيث لا يعنى بالعالم ، لأنه ليس له صفات الإله الحقيقي ، وليس العالم موضوع علمه وإرادته من جهة أخرى ، ولأن حال المحرك الغول لا يتجاوز من الأزل إلى الأبد تعقله لأسمى معقول ، وذاته هي هذا المعقول الأسمى ، وأخيرا بحيث يصبح الوجود منقسم العرى لا تسرى فيه حياة حقيقية ، على حين نجد هذا كله عند أرسطو ، نجد أن الإحساس الكونى عند فيلسوف العرب إحساس فلسفي من جهة ، و ديني عقلي من جهة أخرى ، وعلمي إيجابي من جهة ثالثة .

أما الفجوة الكبرى الموجودة في مذهب أرسطو بين إله هو عبارة عن فكر مجرد لا شأن له بالعالم وبين عالم نادى يتعشق الإله من غير إن يابه المعشوق للعاشق أو يبلغ هذا العاشق موضوع عشقه – فإن هذه الفجوة تمتلئ عند الكندي بفضل ما يتصف به الله عنده من صفات الابتداء والإرادة الحكيمة الفعالة السارى فطها في الكون ، ومن فيض الجود والرحمة ، بحيث يرتبط الله والكون في نظرة الكندي للوجود برباط فعل الخلق الحقيقي ، والتدبير الشامل والعناية الدائمة من جانب الله ، وبرباط استجابة الكائنات من جانبها لتحقيق مقتضيات الإرادة المبدعة ، وذلك يجريها على سنن الخلق وشهادتها بذلك لمنظلمها الحكيم ، وهكذا يحل محل التحريك عند أرسطو الإبداع الأصيل عند الكندي ، ويحل محل عشق الكائنات المادية لمحركها عبادتها وشهادتها لموجدتها ، وهكذا أيضا يبرز ما شاع في روح الكندي المؤمنة من معنى الإسلام . إسلام الكائنات كلها لله ، وهو الذي تصرح به في القرآن آيات بالغة مثل : " أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون " (آل عمران – آية ٨٢) ومثل : " تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفورا " (الإسراء – آية ٤٤) ،

يذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى في سورة النور : " ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ، والله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير " : أن الله تعالى يخبرنا أنه يسبح له من في السموات والأرض أي من الملائكة والأناسي والجان والحيوان حتى الجماد كما قال تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن الآية وقوله تعالى والطير صافات أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبد بتسبيح ألهمها وأرشدنا إليه وهو يعلم ما هي فاعلة ، ولهذا قال تعالى : كل قد علم صلاته وتسبيحه ، أي كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل ، ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء ولهذا قال تعالى والله عليم بما يفعلون ، ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض فهو الحاكم المتصرف الإله المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا معقب لحكمه ، وإلى الله المصير ، أي يوم القيامة فيحكم فيه

بما يشاء ليجزي الذين أساءوا بما عملوا الآية ، فهو الخالق المالك الإله الحكم في الدنيا والأخرى وله الحمد في الأولى والآخرة^{٦٣}

فالكائنات ، بوجودها وما فيها من دلائل القدرة الحكيمة والصنع الكامل والتدبير بالعلم، تشهد لعلتها بالوجود والكمال المطلق ، وهذا هو معنى إسلام الكائنات وتسبيحها ، " ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور " ، والحق أن ما في القرآن من إشارات في هذا الباب يسمو على كل ما وصل إليه تصور الإلوهية عند أهل الأديان المتقدمة وعند المفكرين المتفلسفين من قبل ومن بعد ! ، وفي هذا وفي كلام الكندي على العالم وحدوثه ما يكفي لإثبات ما نبهنا إليه دائما من القول بأن أصول مذهب الكندي أقرب إلى الانسجام من أصول مذاهب فلاسفة اليونان ،^{٦٤}

والخلاصة أو مجمل القول أن الكندي مع سعة معارفه ، وتنوع ثقافته ، ، ومعرفته بمذاهب اليونان ، خصوصا أرسطو ، يقف كما يقول الدكتور أبو ريدة - في أرض الدين بقدم ثابتة ، فيدافع عن النبوة بالإجمال ، وعن النبوة المحمدية خاصة ، ويفهم الوحي الإسلامي فهما فلسفيا ، ولا تفتأ تظهر في رسائله عبارات واضحة تدل على روح الإيمان العميق ، بالإضافة إلى أنه خالف أرسطو في قدم العالم حيث قال بحدوث العالم ، وا لتأكيد على وجود العناية الإلهية ، وصفات الإله المبدع الفعال المدبر الحكيم ، ويخرج من نظريته الفلسفية بوجهة نظر عامة تقوم على فهم الدين بالعقل الفلسفي وتنتهي إلى مذهب ديني فلسفي معا ، وهذا ما قد يجوز أن البيهقي أراد أن يعبر عنه بقوله إن فيلسوف العرب " جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات"^{٦٥} .

^{٦٣} راجع تفسير القرآن العظيم، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، ج ٣/ص ٢٩٨ نشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١

^{٦٤} راجع تصدير الرسائل ص ٨١ - ٨٤
^{٦٥} (راجع تفصيل ذلك في تصدير الدكتور أبي ريدة ص ٥٦ - ٥٨ ورسائل الكندي ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ . والتفكير الفلسفي في الإسلام للإمام الدكتور عبد الحليم محمود ص ٢١٨ / ٢١٩ دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٨٩ .

